AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (٢١٢٨) - السنة (٤٩) جمادى الأولى ١٤٤٠هـ / ١ فبراير ٢٠١٩م

ذكرى تحرير الكويت..
نماذج مشرقة من التضحيات الشعبية

جميع الحقوق محفوظة
المجتمع
مجلة المسلمين حول العالم
لدى مجلة المجتمع

مستقبل الأمن المائي المجهول

«المجتمع» تحاور أمين عام الأئمة والدعاة ببريطانيا الشيخ محمد إسماعيل

@mugtama www.mugtama.com facebook.com/mugtama @mugtama

الكويت ٧٥٠ فلساً ـ السعودية ١٠ ريالات ـ البحرين دينار بحريني ـ قطر ١٠ ريالات ـ سلطنة عمان ريال عماني ـ الأردن ١,٧٥٠ دينار أردني ـ لبنان ٤٥٠٠ ليرة ـ المغرب ٢٣ درهماً

USA $ 5 - Canada $ 6 - Australia AUD 6 - URB 3.5 - India INR 110 - Pakistan PRS 200 - Turkey TRY 7 - U.k £ 3

خيركم لأهلكم

برفع الضبط والإحضار عن النساء الغارمات

التبرع .. عن طريق الاستقطاع أو عن طريق كي -نت

بيت التمويل الكويتي Kuwait Finance House 011140010577

الوطني NBK 1000314577

2483 4414 - 9406 4061

جمعية التكافل لرعاية السجناء

AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (٢١٢٨) - (السنة ٤٩)

إسلامية أسبوعية تصدر شهرياً مؤقتاً

تأسست عام ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠م

جمعية الإصلاح الاجتماعي - الكويت

رأس مجلس إدارتها

حتى ١٤٢٧/٨/١٠هـ - ٢٠٠٦/٩/٣م

عبد الله علي المطوع يرحمه الله

رئيس التحرير

محمد سالم الراشد

سكرتير التحرير

جمال الشرقاوي

الإخراج الفني

مصطفى عزالدين

الآراء المنشورة بـ«المجتمع» تعبر عن رأي أصحابها وليست بالضرورة تعبر عن رأي المجلة

المراسلات

العنوان البريدي: الكويت ص.ب (٤٨٥٠) الصفاة.

الرمز البريدي (١٣٠٤٩)

التحرير

٢٢٥١٤١٨٠ - ٢٢٥١٩٥٣٩

٢٢٥١٣٦١٦ (داخلي ٢٠٥).

mujtamaa@gmail.com

info@mugtama.com

الاشتراكات والتوزيع

تليفاكس: ٢٢٥٦٠٥٢٥ (٠٠٩٦٥)

sales@mugtama.com

الموقع الإلكتروني

www.mugtama.com

موقع جمعية الإصلاح

www.eslah.com

طبعت بمطابع «الهدف» التجارية

ادخل على موقع «المجتمع»

في هذا العدد

موضوع الغلاف

مستقبل الأمن المائي المجهول

- ذكرى تحرير الكويت.. نماذج مشرقة من التضحيات الشعبية 6
- أنقرة وواشنطن.. وقرار الانسحاب والمنطقة الآمنة في سورية 32
- «فورين بوليسي»: مسلمو الصين يستعدون لمزيد من الانتهاكات 36
- خديجة خويص: «الأقصى» جزء من عقيدتي أفديه بكل ما أملك 40
- الإعاقة والطفولة.. الواقع والتحدي 48
- حسن البنا.. ورؤيته في البناء الاقتصادي 58

مقالات

الإمام أحمد بن حنبل.. الصابر على المحنة
د. يوسف السند 35

الاجتهاد.. والقراءة الثانية للنص
د. عامر البوسلامة 52

قبل أن نصل إلى أزمة المياه
د. عصام عبداللطيف الفليج 66

وكلاء التوزيع:

الكويت: شركة باب الكويت للصحافة:
ت: 22272733 ف: 22272736
distribution@alanba.com.kw

الشركة السعودية للتوزيع
Saudi Distribution Co.

السعودية: الشركة السعودية للتوزيع:
www.saudidistribution.com
الإدارة العامة: الرياض0096612128000
فرع الرياض: 0096612705837

فرع جدة: 0096626530909
فرع الدمام: 0096638473569

قطر:
دار الثقافة ت: 4622182 / ف: 4621800

البحرين:
مؤسسة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع
ت: 725111 / ف: 723763

TURKIYE- DUNY SUPER DAGITIM
Tel: (90 -1) 5120190
Fax: (90- 1) 5140883

آية العدد

﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾

(آل عمران)

رأي المجتمع

اليوم الوطني ويوم التحرير.. الدرس والواجب

تحتفل دولة الكويت يومي الخامس والعشرين والسادس والعشرين من الشهر الجاري (فبراير ٢٠١٩م) بالذكرى الثامنة والخمسين للاستقلال «العيد الوطني»، والذكرى الثامنة والعشرين لـ«يوم التحرير».

ففي ١٩ يونيو ١٩٦١م تم إلغاء معاهدة «الحماية البريطانية» التي وقعت في ٢٣ يناير ١٨٩٩م، وتم إعلان استقلال دولة الكويت، إلا أنه وبسبب وقوع التاريخ في حرارة الصيف، مما يصعب معه الاحتفالات بهذه المناسبة، فضلاً عن سفر العديد من الناس، فقد تم تعديل الموعد إلى يوم ٢٥ فبراير الذي يصادف يوم تولي الشيخ عبدالله السالم الصباح رحمه الله الحكم عام ١٩٥٠م.

وفي ٢٦ فبراير ١٩٩١م تم تحرير دولة الكويت من الاحتلال العراقي الغاشم بقيادة البائد صدام حسين، الذي اجتاح الكويت بجيشه يوم الخميس ١٩٩٠/٨/٢م، في عملية غادرة لن ينساها التاريخ.

٢٨ عاماً مرت على تحرير دولة الكويت من هذا الاحتلال الغاشم، الذي كان صادماً بكل معنى الكلمة لكل عربي حُر ولكل مسلم عزيز، وبشكل خاص لشعب الكويت الذي عانى من ويلات تلك الهجمة الهمجية التي طالت كل البنى التحتية للدولة الكويتية.

حيث دخلت القوات العراقية الآثمة أراضي دولة الكويت واحتلتها لمدة سبعة شهور، ولكنها وجدت مقاومة شديدة ورفضاً تاماً من أبناء دولة الكويت جميعهم، الذين قاوموا احتلال النظام العراقي البائد بشتى الوسائل العسكرية والمدنية.

واليوم ونحن نستذكر ذكرى تحرير الكويت التي يعتبرها الكويتيون ولادة جديدة لهم وللكويت وهي كذلك حقاً، لا بدّ لنا جميعاً من الوقوف طويلاً أمام هذه التجربة المُرة وإعادة قراءتها، واستنباط الدروس والعبر منها.

ويأتي الاحتفال بهذين اليومين العزيزين والكويت والمنطقة والأمة الإسلامية تعيش أوضاعاً مضطربة، والأخطار تتهدد المنطقة العربية من كل جانب، وبالأخص الإقليم المحيط بنا؛ وهذا يدعونا جميعاً بكافة قوى وفئات الشعب الكويتي -كواجب وطني- للاستفادة من دروس الاحتلال والأخطاء التي حدثت منذ التحرير إلى يومنا هذا، والحذر مما يجري حولنا، وتقديم ما يلزم في سبيل التوافق والوفاق؛ إعلاءً لمصالح الوطن، وتحقيقاً لوحدة الشعب الكويتي -التي تجلت أثناء الاحتلال العراقي الغاشم- وسعياً للوئام والتماسك الاجتماعي؛ حتى يتفرغ الوطن بكل قواه وأبنائه؛ حكومة وشعباً؛ للانطلاق نحو التنمية والتقدم والازدهار بقيادة سمو أمير البلاد، حفظه الله.

وهي فرصة مواتية لمراجعة الوضع في المجتمع الكويتي؛ بُغية الإصلاح، وإزالة كل العوائق أمام عودة الكويت كما كانت دائماً واحة للديمقراطية، ومثالاً يُحتذى به في التماسك الاجتماعي والشعبي، والتميز الاقتصادي، وعلى الحكومة والمعارضة التوافق حول مشروع إصلاحي نهضوي، حتى نستطيع مواجهة التحديات والأخطار التي تحيط بنا من كل جانب.■

الاشتراكات:

الكويت: 10 دنانير كويتية
الدول العربية: 17 ديناراً كويتياً
الدول الأجنبية: 25 ديناراً كويتياً
للمؤسسات والشركات: 30 ديناراً كويتياً

تشمل عمولة التحويل

الإعـــلانات :
امتياز الإعـــلان : مجلة المجتمع
ت: 22560525 - 22560526 الكويت.

حركة «المجتمع» في فضاء الإعلام

أمر الله سبحانه وتعالى المسلم أن يعيش حياته نسيجاً واحداً متكاملاً شاملاً لله عز وجل، وأمره أن يكون شعاره في الحياة ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ (الأنعام).

وأراد الإسلام من أتباعه أن يعيشوا حياتهم الاجتماعية والسياسية والعلمية والنفسية والتربوية والإعلامية، وما شئت من أسماء ومسميات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعرى هذا الدين سواء بسواء، ومن هذا المنطلق القيمي تنطلق «المجتمع» في فضاء الإعلام، متخذة شمولية الرسالة الإعلامية شعاراً لها؛ فتجمع بين الشأن الديني والتناول السياسي والتحليل الاقتصادي والتوجيه الأسري والتربوي.■

ذكرى تحرير الكويت..
نماذج مشرقة من التضحيات الشعبية

تمر علينا خلال هذا الشهر (فبراير) الذكرى الثامنة والعشرون لتحرير دولة الكويت من دنس الاحتلال العراقي الغاشم الذي استمر سبعة أشهر، ذاق فيها الكويتيون أقسى درجات العذاب والاستبداد من المحتل الغاصب.

لكن خلال فترة الغزو برزت في الكويت طاقات لم يكن أحد يتصور أن تكون بهذه الدرجة من البطولة، وهم كثير من رجال ونساء، وسوف نسطّر بعضاً من هذه البطولات.

تحقيق - سعد النشوان:

كان استمرار عمل الجمعيات التعاونية وتوفير الحاجات الأساسية للمواطنين من أهم التحديات التي واجهها المواطنون الكويتيون، وقدموا في سبيل ذلك الكثير من الشهداء، أمثال مبارك النوت، ويوسف خاطر، واعتُقل عدد من الشباب العاملين.

العرب: وصّلنا المواد التموينية حتى البيوت

ويروي لنا بعضاً مما حدث الأستاذ حسن العرب، الذي كان عضواً بمجلس إدارة جمعية السرة التعاونية ورئيس لجنة المشتريات، حيث قال: بعد الغزو مباشرة، شكلت لجنة طوارئ في الجمعية من بعض المواطنين كالأخ جمال العبدالغفور، وبعض الإخوة الذين لا تحضرني أسماؤهم، وحاولنا توفير الحاجات الأساسية لأهالي المنطقة، لكن بعد أربعة أيام من الغزو أدركنا أن الاحتلال سيمكث فترة من الزمن، وأصبح العمل على طريقتين؛ الأولى جلب بضاعة للجمعية التعاونية لبيعها على الذين يرتادون الجمعية للتسوق أو توزيعها، والطريقة الثانية توفير مخزون آخر للمنازل، وكانت الشركات متعاونة جداً؛ مثل شركة المطاحن أو تجار شركات التغذية والأسماك واللحوم وتوزيعها على المواطنين كمخزون إستراتيجي للمنازل.

وأضاف العرب: قام بعض الإخوة بتوزيع الاحتياجات التموينية بسياراتهم الخاصة، وتكونت خلايا للتوزيع في كل قطع المنطقة، وتم تزويد المنازل بمؤن تموينية تكفي لمدة ستة أشهر، وأذكر أننا كنا نقود سيارات النقل الكبيرة لهذا الغرض، ومن الإخوة الذين شاركوا في هذا الأمر ممن أتذكر أسماءهم: أحمد الحافظ، وعيسى العتال، وحسن الأنصاري، ومحمد سنان، ولافي بخيت، وأحمد الكندري، وإسحق الكندري، وعلي العبيد، وعبدالسلام الغريب.. وغيرهم لا أتذكرهم.

العرب:

قمنا بتزويد المنازل بمؤن تموينية لمدة ٦ أشهر رغم ملاحقات الاحتلال وقتل بعضنا

وقال العرب: إن المحتلين العراقيين أدرجوا أسماء بعض الناشطين بقوائم الاعتقال، وكنتُ من ضمن هذه القائمة ومعي جاسم المطوع، وعبداللطيف المنير، وقد اعتُقلا وعُذبا، ثم قتلهما الاحتلال، رحمهما الله وتقبلهما من الشهداء.

العجمي:

أبناء المنطقة العاشرة رصدوا تحركات الجيش العراقي لإرسالها للقوات الكويتية بالسعودية

وذكر حادثة طريفة، قائلاً: ذهبت مرة إلى المعتقل الذي أقامه الاحتلال، وذلك للتوسط لإطلاق سراح الشهيدين مع أحمد الكليب، الوزير السابق، فإذا باسمي مسجّل عند القائد العسكري العراقي وهو لا يعرفني، وعند خروج بعض المعتقلين عرفت أنني مطلوب لقوات الاحتلال، ونصحني الأخ جاسم المطوع بمغادرة منزلي، ونصحته أنا أيضاً بالمغادرة، ولكنّ المحتلين عادوا إليه مرة أخرى، وأُعدم رحمه الله أمام بيته بدم بارد، وغادرتُ منزلي إلى منزل والدي في منطقة أخرى، وبحث عني العراقيون في أكثر من مكان، حتى تمكنت من مغادرة الكويت.

واستذكر العرب الشباب الناشطين الذين كان لديهم هدف واحد وهو خدمة أهالي الكويت في هذا الظرف.

وقال المواطن د. محسن الصالحي: تجمعنا في مسجد بمنطقة الأندلس، وشكّلنا مجموعات لإدارة المنطقة؛ كالعمل في الجمعية التعاونية، ومجموعة للحراسة ليلاً.

وأضاف أن جمعية الأندلس كان لديها مخزون إستراتيجي، وقد تم توزيعه على أهل المنطقة، وكذلك تم توزيع النقود بطريقة سرية لدرجة أنه لم يكن أحد يعرف الشخص الآخر.

العجمي: أبناء «العاشرة» أدوا أدواراً بطولية

ويقول سعد شبيب العجمي، من أبناء المنطقة العاشرة: إن أبناء المنطقة العاشرة الممتدة من منطقة صباح السالم إلى الحدود الجنوبية للملكة العربية السعودية بما فيها المواقع النفطية، أدوا خدمات عظيمة لأهالي المنطقة، تمحورت في عدة أمور، وهي: إدارة شؤون المساجد، وإدارة الجمعيات التعاونية والأمن والحراسة، وإدارة المخابز، ورعاية أهالي الأسرى والشهداء، وتوزيع الأموال، والحث على الرباط في الكويت.. وتم بالفعل إدارة الجمعيات التعاونية في محافظة الأحمدي.

ولخصوصية المنطقة وما فيها من مواقع نفطية كان هناك هدف لتخليص المنطقة من غاز «الأمونيا» السام، وكذلك استمرار توفير إمداد المنطقة ومناطق الكويت بغاز الطبخ، وتوفير إمدادات الكيروسين للتدفئة، وإمدادات الطاقة لاستمرار تشغيل الكهرباء والماء.

وكذلك كان هناك دور عظيم لأهالي المنطقة بإدارة مستشفى العدان، وتم توفير عدد من المتطوعين للعمل في مقبرة صبحان.

وحول الجانب العسكري في المنطقة العاشرة، كان هناك رصد لتحركات الجيش العراقي، وأماكن تواجده، وإرسالها إلى القوات الكويتية في المملكة العربية السعودية؛ لتحديد أهدافها للمواجهة المسلحة في حرب تحرير الكويت.

عقاب: أبناء الجهراء ضحوا بالكثير

وفي محافظة الجهراء، قال المواطن عقاب يوسف: بعد الغزو مباشرة تم العمل في جمعية الواحة وتوزيع التموين، بمقابل مادي بسيط، ومن كان لا يمتلك المال كان يُعطى التموين بالمجان، وسُلمت المبالغ للجمعية بعد الغزو، وكذلك تم توزيع المياه على المواطنين بعد التحرير مجاناً، بعد أن انقطعت فترة.

وتم اعتقال وتعذيب كل من: عقاب صالح راضي، ودخيل نايف، وعماد المنصور، رحمه الله؛ لمساعدتهم المقاومة، واعتقل صالح يوسف بسبب توزيعه الأموال عن طريق الشيخ عبدالعزيز الهدة.

إن الغزو العراقي الغاشم لدولة الكويت بقدر ما كان مُتعباً ومُزعجاً ومأساوياً؛ فقد فجّر الطاقات الكويتية التي تميزت بالتفاني بالعمل لخدمة الكويت والكويتيين، وكذلك الولاء المطلق للكويت ولسمو أمير البلاد ولحكومته.

نعم.. يختلف الكويتيون كثيراً، لكن ما إنْ يأت خطر يهدد أمنهم أو وجودهم؛ نَرَ هذا الشعب يتحول إلى أيقونة في الدفاع والذود عن بلاده.■

بخور ممسك
Bakhoor Mumassak
جديد

معارض الشايع للعطور
منذ SINCE 1928
الكويت - السعودية - الإمارات - قطر - البحرين
KUWAIT - SAUDI ARABIA - U.A.E.- QATAR - BAHRAIN
E-mail: afkar@afkar.com.kw - Website : www.alshayaperfumes.com
@alshayaperfumes

تمر علينا كل عام ذكرى تحرير الكويت من الغزو العراقي الغاشم الذي ضرب فيه الكويتيون أروع الأمثلة في البطولة والتضحية حتى تحرر بلدهم وعاد إليهم، وتتنوع نماذج البطولات والتضحيات تنوع الشعب بكل طوائفه وشرائحه، سواء منها المدنية أم العسكرية؛ فهناك جنود سطّروا أسماءهم بحروف من نور في تاريخ الكويت بما أدوه من أدوار ومهام في هذه الملحمة الملهمة.

وقد حرصت «المجتمع» على إبراز أحد هؤلاء الأبطال الذين كانت لهم صولاتهم الجوية والاستخباراتية مع قوات التحالف التي قادت حرب التحرير؛ وهو الطيار عبدالله عبدالكريم السمدان، من خلال هذا الحوار الذي فتح فيه قلبه ودفتر ذكرياته مستعرضاً الأحداث من بدايتها حتى شاء الله بالتحرير.

أحد أبطال حرب تحرير الكويت عبدالله السمدان لـ«المجتمع»:

قواتنا الجوية قامت ببطولات حربية واستخباراتية عالية المستوى في حرب التحرير

حوار - سعد النشوان:

● **في البداية، حبذا لو تعرفنا بنفسك.**

- أنا ضابط متقاعد منذ أواخر عام ٢٠٠٥م، ومن المحاربين القدامى -إذا صح التعبير- فالحمد لله تعالى كان لنا دور رئيس ومحوري أثناء حرب تحرير الكويت، وقد شاء الله تعالى أن أكون في قيادة التحالف الذي كان يدير الحرب الجوية.

● **حدّثنا عن دورك هذا في قيادة التحالف من البداية.**

- بدأتْ القصة قبل الغزو، حيث كنت مساعداً لآمر سرب «ميراج ١٨»، وكان آمر السرب -وهو الأخ عبدالعزيز الجاسم- في إجازة دراسية؛ ولذا كنت أنا المدير الفعلي للسرب.

وقبل الغزو بثلاثة أسابيع، عاد آمر السرب من إجازته؛ فأخذت إجازة لأقضي بعض الوقت مع عائلتي خارج الكويت، واستقرت نيتي على قضائها في الأردن برفقة الوالدة والزوجة والأولاد على أن تكون وسيلتنا للذهاب هي سيارتي الخاصة.

وبالفعل، كانت الاستعدادات جاهزة للانطلاق إلى الأردن في صحبة الأهل، ومع ذلك كان قلبي غير مطمئن داخلياً، ولا أدري ماذا يحدث، حيث إنه في ذلك الوقت كان العراقيون يهددون بصاروخي «العباس» و«الحسين»، ويهددون بحرق «إسرائيل»، وكنا نتوقع أن تقوم القوات العراقية بالاشتباك مع دول أخرى على إثر هذه التهديدات التي كانت تنطلق من العراق في ذلك الوقت، ونحن كدولة مجاورة لهذه الأحداث لا بد أن يكون لدينا كافة الاستعدادات.

وبعد أن بدأنا رحلتنا واجتزت الحدود الكويتية إلى السعودية، بدأت بالبحث عبر الراديو لمتابعة المستجدات العالمية، وفي القلب منها المنطقة الخليجية، والكويت على وجه الخصوص، وفي منطقة رفحة بالتحديد استمعت إلى الإذاعة العراقية، وكانت واضحة جداً بالنسبة لنا، وللأسف الشديد سمعت نص مذكرة الحكومة العراقية التي أذاعها الراديو، وكان من فحواها «قطع الأعناق ولا قطع الأرزاق»، وبدأ التلويح والتلميح والهمز واللمز على دولة الكويت.

في تلك الحالة أسقط في يدي، كيف يحدث هذا وقد خرجتُ من الكويت، ودخلت المملكة العربية السعودية، وأنا على دراية تامة بالطائرات والطيارين، ووجودي داخل الكويت كان ضرورياً جداً.

فكرتُ في قطع الرحلة والعودة للكويت، لكن كان هناك عائق إداري متعلق بفيزا الخادمة التي معنا يحُول دون ذلك، فأكملت الرحلة حتى وصلنا إلى الأردن، ومن ثم بدأتُ في متابعة أخبار الكويت والتواصل بمسؤولي الأخ عبدالعزيز الجاسم.

بعد وصولنا الأردن جاءنا الخبر الذي لم نتوقعه مطلقاً وهو اجتياح القوات العراقية للكويت.

● **كيف كان شعوركم في هذا الموقف؟ وكيف تصرفتم؟**

توقعنا أن تشتبك القوات العراقية مع دول أخرى على إثر التهديدات التي انطلقت منها قبل الغزو

– طبعاً أسقط في يدي من هول المفاجأة، ثم عزمت أمري وأخذت عائلتي وانطلقنا في طريق العودة إلى الكويت لأقوم بدوري، وفعلاً قطعنا الطريق حتى وصلنا إلى حفر الباطن، وكان ذلك يوم الجمعة اليوم الثاني للغزو، فأخبرونا أن الحدود مغلقة، ولا أحد يستطيع عبور الحدود السعودية إلى الكويت.

حينها عزمت على السفر إلى الرياض للمكوث عند أقارب لنا يوماً أو يومين لعل الأزمة يتم حلها سياسياً، وكان شعورنا بالفعل مأساوياً، خصوصاً بعد سماعنا مناشدة الشيخ سعد العبدالله يرحمه الله للأمة العربية التدخل لإنقاذ الكويت.

وبعد وصولنا للرياض، واستقرارنا عند أقاربنا يوم الجمعة، وفي صباح السبت ذهبت إلى السفارة الكويتية بالسعودية، وعرّفتهم بنفسي، بأنني الرائد فلان الفلاني، وحينها لم يكن يوجد في السفارة غير ٣ أشخاص، فالسفير والملحق العسكري غير موجودين، ولا يوجد شخصية اعتبارية كبيرة بالسفارة في ذلك الوقت.

وحينها علمتُ أن طائراتنا موجودة بالظهران، وحدث تنسيق وشاء الله تعالى أن أذهب إلى الظهران، وهناك رأيت طائرات «الميراج» وغيرها، لكن للأسف لم تكن كل الطائرات موجودة؛ لأن الطيار الموجود في القاعدة الكويتية هو فقط من استطاع الطيران بالطائرة إلى المملكة، وبالتالي هناك طائرات ظلت رابضة لأنه لم يكن هناك طيارون.

وبعد ثلاثة أيام طُلب منا كمتخصصين في «الميراج» الذهاب إلى الطائف، ومتخصصي «إسكاي» يذهبون إلى قاعدة «خميس مشير»، في الجنوب، كتوزيع مؤقت، وهناك كان يأتي إلينا الطيارون الكويتيون الذين كانوا في إجازات بتلك الفترة، وكذلك ضباط الهندسة والصيانة، وكانت القاعدة أشبه ما تكون بتجمع للطيارين والمهندسين الكويتيين،

الجنرال جاك هورنر

وكانت السلطات السعودية توفر لنا كل السبل وتذلل أمامنا كل الصعوبات، وتمنحنا ما نحتاج من متطلبات يومية.

وحينها كانت الأحداث السياسية تتسارع،

اجتياح الكويت كان مفاجأة صادمة لي وأنا بالأردن لذا قطعت إجازتي وقررت العودة للقيام بواجبي

بعد وصولنا لحفر الباطن وجدنا الطرق للكويت مغلقة فذهبنا للرياض ثم للظهران قاعدة الطيران الكويتي

ثم أعلنت السعودية أنها ضد «صدام»، وتقف إلى جانب الحق الكويتي، وتمت دعوة الأمريكيين للتدخل، فبدؤوا بحشد قواتهم في المملكة العربية السعودية، وقاموا بالتجهيز لعملية «درع الصحراء»، وكانت مهمتها الدفاع عن المملكة ضد أطماع «صدام».

ولأجل تنفيذ هذه العملية كان لا بد من تجميع القوات من كل مكان؛ ففي أثناء عملية «درع الصحراء» أخذوا الأخ الزميل يوسف الشايع من الكويت (قسم «إسكاي هوك»)، ثم تغيرت العملية من «درع الصحراء» إلى «عاصفة الصحراء»، وبالفعل بدأت التجهيزات للعملية، وأصبحوا في حاجة إلى ضابط «ميراج»، فتم ترشيحي للذهاب إلى الرياض، وهنا كنا كضباط وعسكريين نتواصل مع السفارة.

● متى تكونت خلايا المقاومة بصورة فعلية؟

– تكونت خلايا المقاومة بعد مرور شهور على الأزمة، وتشكلت بالفعل مقاومة يقودها وينفذها ضباط عسكريون بلباس مدني، وبفضل الله كان رجال المقاومة كثيرين، ولكن الفئة التي أتحدث عنها هي فئة العسكريين، وكان قائد المقاومة هو خالد بدي، ومنهم مسعود الخترش، ومجبل الياسين، وأحمد الرحماني، ومحمد علي الفارسي، وكان الوسيط بيني وبينهم عبدالله الكندري، وكنت أزودهم بأحوال الطقس في الكويت، والأمريكيون يستفيدون من تلك المعلومات لتجهيز قواتهم، ثم تم الاتصال بيني وبين المقاومة مباشرة، وكان الاتصال يتم بواسطة «الدش».

وكان هناك أكثر من جهاز اتصال، خاصة أن الجيش العراقي كان يترصد تلك الاتصالات واستطاع القبض على الكثير من رجال المقاومة عبرها باستثناء رجالنا؛ نظراً لخبرتهم في عمليات التمويه وتغيير المكان وما إلى ذلك، حيث كان عندهم نوع من الحس الاستخباري، وكان كلامنا كله بالرموز.

كما أن الاتصال الذي كان يحدث بيني وبين المقاومة لا يدري عنه أحد، حتى رئيس الأركان، وزميلي يوسف الشايع.

وكانت القيادات العراقية تتنقل من مكان إلى آخر في الكويت، وعندما نحدد مناطق وجودهم نبلغ الأمريكيين فتقوم طائراتهم بقصفهم، كان يتم ذلك أثناء الحرب الجوية، أما قبلها فكانت تصلهم تقارير بتحركات القيادات العراقية.

فقد كان لنا دور مباشر أثناء الحرب الجوية بإعطاء إحداثيات وتقارير لقيادات التحالف لضرب القيادات والتجمعات العراقية؛ لأنهم كانوا يتواجدون بين المناطق السكنية، وكانت تحركاتنا تستهدفهم دون أن تشكل خطورة على المواطنين.

في هذه الأثناء وقبل بداية الحرب الجوية، قررت القوات السعودية مشاركة طائرات «الإسكاي هوك» في المعركة، وعدم مشاركة «الميراج» الكويتية على أن يقتصر دورها على الإسناد فقط، وكانت وجهة نظرهم أن العراقيين لديهم نفس النوع من الطائرات «ميراج إف وان»؛ فكانوا يخشون على طائراتنا من الاستهداف كونها تشبه الطائرات العراقية.

لكن وفقني الله تعالى في أن أغيّر وجهة نظرهم تلك وأقنعهم بمشاركتها بعد مجهود كبير.

● كيف أقنعتهم بمشاركة «الميراج»؟

– طبعاً كانت هناك علاقات بيننا وبين السعوديين منذ الثمانينيات، وكان بيننا تعاون عسكري متبادل؛ حيث كنا نقوم بعمل تمارين معهم.

وقد طلبت إجراء مقابلة مع العميد أحمد السديري، الذي يعتبر الرجل الثاني في القوات الجوية السعودية آنذاك، وكان بيده القرار أن تشترك «الميراج» أو لا، وبعد رفض هذا الطلب في البداية بحجة أنهم درسوا الموضوع جيداً ولا داعي لإعادة النقاش فيه، تمت المقابلة بعد إصرار مني.

وفي المقابلة أخبرته أننا صرفنا على الطائرات سواء بالصيانة أو الذخائر نحو ١٦٠ مليون دولار، والطائرات والطيارون جاهزون في الطائف، وليس من المعقول عدم مشاركتنا، خاصة أننا نحن أصحاب القضية، وقلت له: أنا طيار «سكاي هوك» قبل أن أكون طيار «ميراج»، الذي تقوم به «الإسكاي هوك» تقوم به «الميراج»، وقلت له: طائراتنا كلها جاهزة.

بعد مرور شهور على الأزمة تكونت خلايا مقاومة يقودها ضباط بلباس مدني

كان لنا دور مباشر أثناء الحرب الجوية بإعطاء إحداثيات لقيادات التحالف لضرب القيادات العراقية

فقال: يوجد في طائراتكم كذا طائرة متعطلة ولا تصلح لأداء المعركة.

فقلت له: كل طائراتنا جاهزة باستثناء طائرة واحدة؛ لأن بها قطعة غيار غير موجودة، ونحن نستطيع إحضارها من قطر خلال يوم واحد.

وأوضحت له أن طائراتنا «الميراج جو جو» بها رادار، وكذلك جهاز تشويش، أما «سكاي هوك» فلا يوجد بها رادار ولا جهاز تشويش، و«الميراج» تلقي نفس القنبلة التي تلقيها «سكاي هوك»، وتمتلك صواريخ جو جو، التي لم تمتلكها «سكاي هوك»، وطائراتنا فنياً أعلى، ونحن سنكون ضمن التشكيل ولن نطير بطائراتنا وحدنا، فبدل طيران ٤ طائرات «سكاي هوك»، يكون التشكيل طائرتين اثنتين «سكاي هوك» واثنتين «ميراج»، ولا أحد يستطيع ضرب «الميراج» إذا كانت برفقة «الإسكاي هوك».

وتحدثت معه بالمنطق والإقناع، وفي النهاية اقتنع بكلامي، وقرر إشراكها، لكن طلب مني أن يقوم قائد القوات الجوية الكويتية بمخاطبة قائد القوات الجوية السعودية بكتاب رسمي، حتى يتم تفعيل الأمر.

تمكنا من نقل معدات وذخائر طائرات «ميراج» من الطائف إلى الظهران عن طريق شاحنات كبيرة

وفعلاً تم ذلك وصارت الموافقة رسمية.

● هل شاركت «الميراج» مباشرة، أم كانت هناك عقبات أخرى منعت من إشراكها؟

– للأسف ظهرت أمامنا عقبتان، لكننا بحمد الله تمكنا من التغلب عليهما واجتيازهما.

● ما هما؟ وكيف تم التغلب عليهما؟

– العقبة الأولى تمثلت في أن طائراتنا موجودة بالطائف ونقلها إلى الظهران يحتاج إلى نقل ملحقاتها وذخيرتها وقطع غيارها.. إلخ، واعتذر السعوديون عن عدم تمكنهم من فعل ذلك نظراً لانشغال طائراتهم بمهمات كثيرة، وليس في برنامجهم القيام بذلك، وكان لهم عذرهم في هذا.

فقلت: ليست هناك مشكلة، حيث في الإمكان نقل معداتنا عن طريق البر، والمسافة بين الظهران والطائف نحو ١٢ ساعة فقط، لذا طلبت منهم تأجير شاحنات كبيرة لنقل المعدات بالكامل إلى قاعدة الظهران براً، ولا داعي للتعطيل، وبحمد الله تم ذلك، وأحضرت المعدات والذخيرة بواسطة الشاحنات إلى الظهران.

أما العقبة الثانية فهي أننا عندنا طيارون بدرجة «ملازم أول»، حديثو التخرج، كانت لهم تدريبات ولكن ليس لديهم تجربة على العمليات القتالية، وليس عندهم خبرة إلقاء القنابل على الأرض، لذا يحتاجون إلى تدريب، ولا نمتلك طائرات تدريب، بل عندنا طائرات مقعد واحد، وفي النهاية ذهبنا إلى ميدان الرماية في الظهران وقمنا بتدريب طيارينا وتجهيزهم على وجه السرعة لخوض المعركة.

وبهذا انتقلت «الميراج» إلى الظهران، وانتقلت أيضاً معدات الصيانة والذخيرة، وبدأنا بإشراك طيارينا في تشكيل واحد مع «الإسكاي هوك» (اثنتين «ميراج»، واثنتين «إسكاي هوك») يحلقون لقصف الأهداف المحددة داخل الكويت؛ فطائراتنا لم تستهدف طائرة ولا عسكرياً أو آلية بحرية أو برية في الحدود العراقية.

● هل كان من مهامك الطيران والقيام بضربات جوية على العدو؟

– نعم قمت بذلك؛ فقد كان قائد المفرزة الجوية الكويتية الأخ يوسف الريان، وكان برتبة عقيد في ذاك الوقت، وهو الآن فريق

متقاعد، قلت له: مـا دامت الطائرات جاهزة للطيـران فأنا على اسـتعداد تـام للتحليق مع طيارينا كل يوم، فرفض وقال: نحن لا نريدك في الظهران، بل نريدك أن تكون في الرياض، وبعد أن ألححت عليه في الطلب، اتفقت معه أن أطير مرة أو مرتين في الأسـبوع، وبالفعل كنت فـي نهاية يوم الدوام، أتحرك بالسـيارة متوجهـاً من الرياض إلى الظهران، وأبيت في القاعـدة، وفـي الصباح أحلّق فـوق الأهداف التي سيتم قصفها، وبعد ذلك تتجهز طائرات «إسـكاي هـوك» وطائرات «الميـراج»، وأقوم بقيادة السـرب ونقصـف أهدافنا ونرجع مرة أخرى، حسـب خط السـير المقرر للعمليات، وكانـت الأجواء مليئة بحركـة الطيران، والكل كان ينتظر دوره في الهبوط أو التزود بالوقود.

وبعـد الهبوط كنـا نقوم بعمـل محاضرة تشـرح المهمة التي قمنا بها، وإذا كانت هناك أخطاء نتحاشاها.

● مـا أهـم الأدوار الأخـرى التـي قمـت بهـا فـي عمليـة التحريـر؟ وهـل كان لك دور اسـتخباراتي أو تواصـل مـع المقاومـة علـى الأرض؟

– نعم كانت لي أدوار أخرى من هذا القبيل؛ فمثلاً كان العراقيون لديهم نوع من الصواريخ تسـمى «فـروك»، وهي تختلف عـن صواريخ «سكود»، وكانوا يضعونها تحت الجسور، وكان المقاومـون يمرون ويرون الآليات العسـكرية العراقيـة، وكونهـم عسـكريين، يعرفـون كل أنواعهـا، وكانوا يخبرونني أن هناك صاروخ «فـروك» فـي المـكان الفلانـي، فأسـتخرج إحداثياتـه وأرسـلها إلـى الأمريكييـن، وكان للأمريكيين طائـرات تحلق في أجواء الكويت والخليـج، وبمجـرد إعطائهـم المعلومة كانوا يقومـون بالقصف مباشـرة؛ وهـذا ما أدهش العراقيين.

وفي إحـدى المرات، ضـرب الأمريكيون أحد الأهداف العسـكرية العراقية في منطقة الشـامية، فألقيـت اللـوم علـى الأمريكيين؛ لأنهم روّعوا أهالي الشامية، وشظايا الضربة انتشرت في كل مكان، وكان لها أثر كبير ليس علـى أهالي الشـامية فقـط بل علـى أهالي الكويـت جميعاً، ونتج عن ذلك أنه تم اختياري لأن أكـون فـي اللجنـة التي تحـدد الأهداف وترسلها إلى طيران التحالف لقصفها.

ورب ضـارة نافعـة، فوجـودي فـي هـذه اللجنـة رفع عن الكويت كارثة تدميرية هائلة؛ حيث قام العراقيون بتوزيع مضادات الطيران الخاصة بهـم، والأمريكيون جعلوا لكل مضاد للطائـرات هدفـاً مشـروعاً لديهـم، بصرف النظر أين يقع هذا الهدف، سواء كان فوق أحد البيوت، أو إحدى المدارس أو المستشـفيات، أو أي مكان آخر، وأتذكر ذاك الوقت حين كان معي قلم «شيني» أحمر، فكنت أقوم بالتأشير على الكثير مـن مناطق الكويت مثل الجهراء، والأحمـدي، وكل التجمعـات السـكنية، وقلت لهم: هذه نقاط خارج نطاق القصف.

وقد حدثت تحركات عسـكرية عراقية داخـل هذه المناطـق، ولكونهم بالقرب من تجمعات الكويتيين رفضت أن يتم قصفهم، خوفاً على أهلنـا، فقد تخيلت الكويت مثل بريطانيـا فـي الحـرب العالميـة الأولـى، كلها أطـلال، والحمد لله تعالى اسـتطعت وقف خطـة القصف التي كانت تسـتهدف الدفاعـات الأرضية العراقيـة الكائنة بين التجمعات السكانية.

نجحتُ في إقناع السعوديين بإشراك طائراتنا «الميراج» في الطلعات الجوية بجانب «الإسكاي هوك»

وأكثر من مرة رفضت التوقيع على قصف هـذه المناطق؛ فمثلاً المدعو سـبعاوي، أخو صدام، كان يسـكن في شارع دمشق بقرطبة، وحـاول الأمريكيـون قصـف منزلـه –الحاكم العسـكري للكويـت– فكنـت أتصـدى لهـم بالرفض، فقالوا لي: إن لديهم أسـلحة دقيقة تسـتهدف البيت الذي فيه سـبعاوي ولن تؤثر علـى البيـوت المجـاورة، ومـع ذلـك رفضت قيامهـم بقصـف بيـت سـبعاوي، فـلا داعي لترويـع الأهالي من أجل هذا الشـخص، وفي النهاية رضخوا لطلبي فلم يقصفوا البيت ولم يتم قتل سبعاوي في ذاك اليوم، وسبحان الله تم قتله شـنقاً فـي العراق بعد سـقوط نظام صدام حسـين، فقلـت في نفسـي: كتب ربنا عليه هذه الميتة.

الحادثة الثانية: كان هناك أسرى كويتيون لدى العراقيين في «المشـاتل»، وكان بداخلها قيـادة عراقيـة، وكان الأمريكيون يرغبون في قصفها، فرفضت؛ لأن هذا القصف سيقضي على أسـرانا الكويتيين، وبعد أن نُقل الأسرى من المشاتل تم اسـتهداف الوحدة بالقصف، والحمد لله لم يتأثر أي أسير بشيء.

وقـد حدث الأمر نفسـه كذلـك مع نادي النصر في جليب الشـيوخ، وبمجرد انصراف الكويتيين عن المكان تم القصف.■

صورة تبين احدى طائرات الغزال الكويتية وهي تسيطر على أسرى عراقيين في فبراير ١٩٩١م

أكد رئيس مجلس إدارة نماء للزكاة والتنمية المجتمعية بجمعية الإصلاح الاجتماعي حسن علي الهنيدي أن رؤيتهم للشراكة في مجال العمل الخيري والإنساني تتمثل في تطوير الشراكات الخيرية مع كافة الجهات الحكومية والأهلية؛ لنشر ثقافة العمل الخيري، وعكس مكانة دولة الكويت الدولية كمركز إنساني، يبدأ فيه العمل الخيري من سد حاجات الفئات المستفيدة داخل دولة الكويت، وأضاف، في حواره مع «المجتمع»، أن «نماء» تنفذ ١٩ مشروعاً خيرياً، منها الموسمية والدائمة والصحية والتعليمية والتنموية.

رئيس مجلس إدارة نماء للزكاة والتنمية المجتمعية حسن الهنيدي لـ«المجتمع»:

نسعى لتطوير الشراكات لنشر ثقافة العمل الخيري

حوار - سامح أبوالحسن:

● كان لـ«نماء» مشاركة متميزة أثناء الأمطار التي هطلت على الكويت هذا الموسم، حدثنا عن هذه المشاركة.

- تواصلت «نماء» منذ بداية السيول مع وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل، ووضعت كافة إمكاناتها تحت تصرف الوزارة التي ثمنت هذه المبادرة، وساهمت في نشر كافة تعليمات السلامة عبر حساباتها على شبكات التواصل الاجتماعي، كما فتحت فروعها في تلك الفترة لاستقبال المتضررين، ونسقت مع فريق الإنقاذ الكويتي لتقديم العون والإغاثة الميدانية، وقامت بجولات ميدانية للكشف على البيوت المتضررة ومساعدة أصحابها، ثم أطلقت حملة «نكرم موتانا» بالتعاون مع إدارة شؤون الجنائز في بلدية الكويت لإعادة تأهيل المقابر التي كشفتها سيول الأمطار في مقبرتي الصليبخات وصبحان، حيث قامت بترميم ٩٧٠ قبراً، وقد جاءت الفكرة انطلاقاً من فتح أبواب الشراكة المجتمعية لتحقيق الأهداف الخدمية بشأن صيانة وحماية القبور من آثار العوامل المناخية من الرياح والأمطار، كما تستهدف الحملة رفع معدل الثقافة العامة لإكرام الموتى وحرمة المقابر.

● هل تعملون على تطوير العمل الخيري في الداخل؟ وما الآليات؟

- تعمل «نماء» من خلال خطة إستراتيجية مدروسة محددة الأهداف، فهناك اتفاقيات تمت مع الجهات الرسمية والأهلية كوزارة الصحة، وصندوق إعانة المرضى، والأمانة العامة للأوقاف، وبالتعاون مع وزارة الصحة وقعنا اتفاقية لعلاج مرض السرطان، و«الروماتيد»، و«MS»، حيث إن تكلفة العلاج باهظة وتصل في المتوسط إلى ١٩٠٠ دينار للحالة الواحدة، لكن تعاوننا مع مبرة الدعم الإيجابي وجمعية صندوق إعانة المرضى وبعض شركات الأدوية أدى إلى تخفيض تكلفة الجرعة إلى ثلث ثمنها بفضل الله.

● ما رؤيتكم للشراكة في مجال العمل الخيري والإنساني؟

- تطوير الشراكات الخيرية مع كافة الجهات الحكومية والأهلية أمر تعمل عليه «نماء»؛ وذلك لنشر ثقافة العمل الخيري وعكس مكانة دولة الكويت الدولية كمركز إنساني، يبدأ فيه العمل الخيري من سد حاجات الفئات المستفيدة من داخل دولة الكويت، وقد عقدت «نماء» العديد من الاتفاقيات مع عدد من المؤسسات المجتمعية لتحقيق الأهداف المشتركة، وفق قيم العمل واللوائح المنظمة، ولدينا حالياً شراكة مع ٦ جهات حكومية، و٤ من القطاع الخاص، بالإضافة إلى ٦ مع الجهات الخيرية، وعلى رأسها شراكتنا مع الأمانة العامة للأوقاف ووزارة الصحة.

● لماذا قمتم بتغيير اسم المؤسسة من «نماء للزكاة والخيرات» إلى «نماء للزكاة

«نماء» تكفل ١٠٤٦ يتيماً وتقوم على مساعدة ٦٣٨٤ أسرة

نضع التعليم على رأس أولوياتنا وأطلقنا مشروع «علمني ولك أجري»

كانت لنا بصمة في مواجهة سيول الأمطار
ومشروع «نكرم موتانا» كان متفرداً

والتنمية المجتمعية»؟

– يأتي ذلك في إطار التطور الذي تشهده «نماء» على صعيد المشروعات الخيرية والإنسانية التي تقدمها، وهناك العديد من الأسباب التي دعتنا إلى تغيير الاسم؛ منها مواكبة للخطط التطويرية داخل «نماء»، والتوجه إلى المشاريع التنموية والأكثر استدامة، والاقتراب أكثر من حاجات المجتمع، والاتجاه إلى توسيع مبدأ الشراكات مع الجهات المختلفة في المجتمع التي لها نفس الأهداف الخيرية، فمؤسستنا تسعى إلى إطلاق عدد من المشروعات التنموية الإنسانية والخيرية التي تدعم عمل الخير، كرسالة إنسانية، خاصة بعد أن أصبحت الكويت مركزاً للعمل الإنساني، مما يضاعف من أهمية العمل بشكل مؤسسي ومخطط له، وتُجرى له البحوث والدراسات، وتُسخر له الجهود والإمكانات، لتحقيق الاستدامة للعمل الخيري والديمومة للنتائج، ولننتقل بالعمل الخيري من نظرة ضيقة تقتصر على الإحسان إلى المحتاجين إلى التنمية الشاملة للمجتمع.

● ما أهم المشروعات التي تقوم «نماء» عليها؟

– تعمل «نماء» في ١٩ مشروعاً خيرياً، منها المشروعات الموسمية (إفطار الصائم في رمضان، والأضاحي)، والمشروعات الدائمة ككفالة الأسر المتعففة والأيتام بالإضافة إلى عدد من المشروعات الصحية، ومنها مشروع «بشراكم» (لعلاج مرضى التصلب العصبي)، ومشروعات البر والإحسان ومنها مشروع «سقيا الماء»، والمشروعات التعليمية، ومنها مشروع «علمني ولك أجري»، وغيرها من المشروعات التنموية.

● ما المشروعات التعليمية التي تقوم عليها «نماء»؟ وما إنجازاتها خلال عام ٢٠١٨م؟

– لدينا أكثر من مشروع في هذا الجانب، فهناك مشروع «علمني ولك أجري» الذي يهدف إلى سداد المصروفات الدراسية عن الطلاب الأيتام وغير القادرين، خاصة أن مشاهدة الطلاب المحرومين من الدراسة بسبب عدم سدادهم لمصروفاتهم الدراسية يدمي القلب، كما أنه يعرض جيلاً كاملاً للضياع؛ فالتعليم عصب الحياة وأساس استمرارها، وبه تتقدم الأمم، ويحد هذا المشروع من ظاهرة التسرب التعليمي ويهدف إلى القضاء عليها، بالإضافة إلى توفير الفرص التعليمية لمن يستحقها ويحتاج إليها، ومساعدة الأسر المحتاجة في دفع الرسوم المدرسية، ومنح الأولوية للطلاب المتفوقين فرصة استكمال دراستهم، وتحسين الوضع المعيشي للأسر الفقيرة من خلال تعليم أبنائها، وقد استفاد من هذا المشروع ٥٠١ طالب وطالبة، كما ساهمنا في رعاية ٨٢ طالباً بمركز «التعليم للجميع» خلال عام ٢٠١٨م.

● ماذا عن المشروعات الصحية؟

– لم تغفل «نماء» الجانب الصحي؛ حيث اعتبرت أن المشروعات الصحية على رأس أولوياتها؛ بسبب ارتفاع تكاليف العلاج لبعض الأمراض الصعبة، ووجود مرضى عاجزين عن تحمل قيمة العلاج والدواء؛ لذا أطلقت العديد من المشروعات، منها «تراحم»، و«بشراكم»، و«الأمل» لعلاج مرضى السرطان، وقد استفاد من مشروع علاج التصلب العصبي ٢٨ مريضاً، وتم تقديم ٩٥٢ جرعة لهم، كما تم تقديم ٦٨ جرعة لعلاج ١٧ مريضاً بالروماتويد، وتم تقديم ٣٢ جرعة لعلاج ١٢ مريضاً بالسرطان، وقامت «نماء» بكفالة ١٤٧ من ذوي الاحتياجات الخاصة وتقديم ٣ كراسي WELLCHAIR، وذلك خلال ٢٠١٨م.

متخصصون بالعمل الخيري داخل الكويت ورؤيتنا أن نصبح مثالاً يُحتذى به في التنمية المستدامة

نقدم تقارير تفصيلية للجهات المانحة ومنها شريكنا «الأمانة العامة للأوقاف»

وتهدف «نماء» من خلال هذه المشروعات إلى بث الأمل في نفوس المرضى غير القادرين على تحمل نفقات العلاج، بحيث تسهم في تحقيق التكافل الاجتماعي للمرضى وإزالة العوائق الاجتماعية والنفسية والمادية التي تواجه المريض.

● ما أهم المشروعات الاجتماعية التي تقوم عليها «نماء»؟

– تقوم «نماء» على العديد من المشروعات المجتمعية، ومنها كفالة الأيتام التي لا يقتصر دورها على توزيع الكفالات لهم، بل تحرص على رعايتهم رعاية شاملة، وكذلك تولي الجانب النفسي اهتماماً خاصاً، وتقدم لهم الهدايا والألعاب في الأعياد، خاصة وأننا نتحدث عن أطفال صغار يحتاجون إلى معاملة إنسانية خاصة بجانب الدعم المادي، ونقوم بدورنا بتوثيق هذه الرحلات وإرسال التقارير للكفلاء ونقوم على كفالة ١٠٤٦ يتيماً.

ومن المشروعات المجتمعية أيضاً مشروع «تدفئة الشتاء»، الذي يعد نوعاً من أنواع التكافل والتراحم الاجتماعي بين المسلمين، وذلك انطلاقاً من حديث النبي ﷺ الذي رواه البخاري ومسلم وقال فيه: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى»، وقد استفاد من المشروع ٢٥٠ أسرة، كما استفاد من مشروع «برد عليهم» ٧٧ أسرة، وقامت «نماء» بمساعدة ٦٣٨٤ أسرة وقامت بتوزيع مليونين و١٩٢ ألف عبوة مياه مبردة، كما تم توفير ٤٤٨ براداً للمياه في مختلف مناطق الكويت بإضافة ٤٥ براداً جديداً خلال عام ٢٠١٨م.

● ماذا عن المشروعات الموسمية؟

– لا شك أن المشروعات الموسمية من المشروعات الحيوية لدى «نماء»، ومنها إفطار الصائم، والأضاحي، وغيرهما، وقد قامت «نماء» خلال شهر رمضان المبارك بتوزيع ٢٧٥ ألف وجبة إفطار صائم في ٨٨ موقعاً بجميع محافظات دولة الكويت، كما قامت بتوزيع ٦٢٥٤ سلة رمضانية عن طريق توزيع الكوبونات على الأسر المستفيدة، وقامت بتوزيع ٢٧٠ طناً من الأرز استفاد منها ٥٣١٦ أسرة، وقامت بتوزيع ٩٣٢ كسوة وعيدية على الأيتام، وتوزيع ١٧١٥ أضحية استفاد منها ٥١٤٥ أسرة.■

العمل الخيري ليس للفقراء فقط

سعد العتيبي
ناشط في العمل الإنساني والخيري

لقد خلق الله الإنسان وأمره بعبادته، فقال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾) (الذاريات)، وكذلك أمرهم بمهمة أخرى هي إعمار الأرض، يقول الله تبارك وتعالى: (هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ) (هود: ٦١)، وجعل أسباباً للقيام بهذه المهمة، ومن أهم هذه الأسباب العلم والعمل.

فبالعلم تدرك أسرار هذا الكون ونواميسه، وطرق الاستفادة مما سخره الله للبشر، وبالعمل والجد والمثابرة يعمر الإنسان هذا الوجود ويستفيد منه.

واقتضت حكمة الله جل شأنه أن يجعل وسيطاً يقوّم به الجهد والمردود، وبه تتبادل السلع والمنافع، وهو ما يعبر عنه في دنيا الناس بالمال، فالمال قوام الحياة، وهو المحرك للجهود البشرية نحو الجد والعطاء والتسابق في ميادين الحياة المتشعبة.

ومن هنا اهتمت الشرائع بتنظيم كسب المال، ووضعت له أطراً عامة في كسبه وإنفاقه وإمساكه، وجعلت فيه حقوقاً عامة، وحقوقاً خاصة، ليؤدي المال وظيفته التي أرادها الحق سبحانه وتعالى، ولئلا يكون وسيلة أثرة ونزاع، بل وسيلة قوام للحياة، وتكافل في المجتمعات.

وقد حث القرآن الكريم والأحاديث النبوية في مواطن كثيرة على الإنفاق الطوعي والبذل والعطاء، ولكن بعض النفوس قد يدفعها حب المال إلى الإمساك والشح، فيحجب المال عن وظيفته ويجعله هدفاً لا وسيلة؛ لذا جعل الله فيه حقاً وواجباً محدداً في جميع أنواع المال من نقود وعروض تجارة أو محاصيل زراعية أو ثروة حيوانية بمقادير وشروط تعرف تفاصيلها كتب الأحكام.

ولأهمية هذا الحق جعله الإسلام أحد أركانه الخمسة وسماه الزكاة، لأنها سبب في تزكية النفوس وتطهيرها، فهي تزكية لنفوس الأغنياء من الشح، وتنقية لنفوس الفقراء من الحقد والحسد وطهارة ونماء للمال.

ووضع مصارف لهذا الحق الذي لا يتجاوز ٢,٥٪ من المال، وهو بمعنى آخر يعبر عن الحد الأدنى لدفع الأموال لصالح المجتمع وفق المصارف الشرعية وليس الحد الأعلى في تقديم المساعدة، وهذه المصارف محددة كما ذكرت لكم في الآية الكريمة: (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾) (التوبة).

لن أخوض في تفاصيل مصارف الزكاة وما يترتب عليها من أحكام شرعية، إلا أن حديثي سيوجه الانتباه إلى أن الشريعة السمحاء حثت على صدقة التطوع من غير الزكاة فيما بقي من المال الذي تصل نسبته ٩٧,٥٪، وليس لها من الضوابط الشرعية سوى تحقيق المنفعة والنية الصادقة، ولَم يحدد الفقه الإسلامي مصارف خاصة لها كما تكلم عن الزكاة، بل ترك تقديرها للناس، إلا أن هناك توجيهات نبوية عامة هي أقرب للتحسينات والتفضيلات الزمانية والقواعد العامة.

فما حدود هذه المنفعة؟ وهل للظرف الزماني والمكاني أثر؟ وما التوجيهات النبوية في مصرف الصدقات؟ لعل الله يعينني على أن أكتب مقالاً آخر أجمع فيه القواعد العامة لمصرف الصدقات.■

مستقبل الأمن المائي المجهول

أصبحت قضية الأمن المائي ملحة في العالم العربي والإسلامي؛ حيث يوضح تقرير صادر عن البنك الدولي أن متوسط نصيب الفرد السنوي من الموارد المائية المتجددة والقابلة للتجدد في الوطن العربي (مع استبعاد مخزون المياه الكامنة في باطن الأرض) سيصل إلى ٦٦٧ متراً مكعباً في سنة ٢٠٢٥ بعدما كان ٣٤٣٠ متراً مكعباً في سنة ١٩٦٠م، أي بانخفاض بنسبة ٨٠٪.

يأتي ذلك في ظل مخاوف رائجة من أن الأمن المائي مرشح لإشعال الحروب في منطقة الشرق الأوسط، خاصة أن أغلب الأقطار العربية لا تملك السيطرة الكاملة على منابع مياهها في ظل تحكم بلدان بنحو ٦٠٪ من منابع الموارد المائية للوطن العربي، بالتزامن مع حديث متكرر عن أطماع الكيان الصهيوني في نصيب دول الطوق العربي من المياه.

واستشعاراً منها لخطورة الأمر، وإدراكاً لأهمية الماء باعتباره أصل كل شيء حي في الدنيا بنص القرآن الكريم، تقدم «المجتمع» هذا الملف حول الأمن المائي بهدف إلقاء الضوء على واقع المياه بالعالم العربي والإسلامي في ظل مستقبل مجهول للأمن المائي العالمي، مع تقديم رؤية علاجية، منطلقة في ذلك من صبغة المجلة الإسلامية ورسالتها العالمية.■

مستقبل الأمن المائي والتعاون الإقليمي

يُعرَّف «الأمن المائي» بأنه «القدرة الدائمة المستمرة في الحاضر والمستقبل على توفير الماء غير الملوث الصالح للاستخدامات الإنسانية اللازمة للحياة».

وتعد اتفاقية «كيوتو» واحدة من أشهر وأهم الاتفاقيات التي عقدت في ملف الأمن المائي، حيث تلزم الدول المتقدمة بخفض الانبعاثات المسببة لظاهرة الاحتباس الحراري مثل ثاني أكسيد الكربون؛ إذ إن استمرار انبعاثات الغازات الحارة بمعدلاتها الحالية قد يؤدي في النهاية إلى الجفاف، والفيضانات، وارتفاع مستوى البحار، وفناء الآلاف من الكائنات الحية بحلول عام ٢١٠٠م.

م. محمد رضوان المومني
مختص في الموارد المائية - الأردن

بيئة، واقتصاد، وسياسة.. تلك الثلاثية وبالترتيب تمثل أفضل تعبير عن حقيقة الوضع الحالي فيما يتعلق بالالتزام بتنفيذ بنود اتفاقية «كيوتو»، حيث إن الهدف الأساسي من الاتفاقية يتمثل في حماية البيئة، ومن ثم التنوع الحيوي بكوكب الأرض، إلا أن رجالات الاقتصاد ينحّون البيئة جانباً حينما يكون الأمر متعلقاً بعائدات اقتصادية آنية، دون الأخذ في الاعتبار الوضع المستقبلي للمعطيات البيئية، رغم وجود العديد من الدراسات العلمية بل والمؤشرات التي تؤكد أن التدهور البيئي ليس ضرباً من التخيل أو التنبؤ.

يقع الوطن العربي في منطقة الحزام الجاف وشبه الجاف، ويبلغ عدد سكانه حوالي ٥٪ من سكان العالم، بينما تبلغ الموارد المتجددة في المياه أقل من ١٪ من المياه في العالم، ومعدل هطول الأمطار يميل إلى ما بين ٥٠ و٤٥٠ ملم سنوياً، وتبلغ المناطق القاحلة في العالم العربي حوالي ٨٠٪ من إجمالي مساحته.

بشكل عام، تنتج الأخطار الخارجية عن مجموعة من العوامل: الأحواض المائية الجوفية المتداخلة، الاشتراك بمجاري الأنهار، المعاهدات وحقوق الدول المتشاطئة ودول المنبع وحاجتها وحقوقها، التغير المناخي الناتج عن فعل الإنسان الخارجي؛ أي الناتج عن فعل الدول الصناعية الكبرى، فمصر والسودان ودول أعالي النيل، والعراق مع تركيا وإيران، وسورية مع تركيا وفلسطين المحتلة، والأردن مع فلسطين المحتلة، هناك علاقة متداخلة بين هذه الدول بسبب مسألة المياه، بالإضافة إلى القضايا الأخرى المؤثرة فيها، وبشكل خاص القضايا السياسية المتعلقة بالصراع العربي الصهيوني.

وتجدر الإشارة إلى أن أهم نهرين يتدفقان إلى قلب الوطن العربي -نهر النيل في مصر والسودان، والفرات في سورية والعراق- يصبان فيه لكنهما لا ينبعان منه وهو ما يعرضهما لمخاطر.

يضاف إلى كل ذلك عامل الجفاف الإقليمي الذي يأتي في دورات مناخية؛ فيؤدي إلى تهديد ليس لمجرى النهر وحده ولكن للأحواض المغذية أيضاً.

نهر النيل من الأنهار الدولية، ويقطع مسافة تبلغ ٦٧٠٠ كم، وتشارك في حوضه ١٠ دول، هي: إثيوبيا، إريتريا، كينيا، أوغندا، تنزانيا، رواندا، بروندي، الكونغو الديمقراطية، السودان، مصر.

دأبت مصر على محاولة تبني إدارة قضايا المياه في إطار سياسي مع دول حوض النيل خصوصاً في الستينيات؛ حيث بنت كثيراً من جسور العلاقات الودية؛ للمساهمة في حل كثير من المشكلات، وساعدها في ذلك دورها في عملية استقلال كثير من البلاد الأفريقية، وترى مصر أن مواردها الحالية تعتبر محدودة للغاية بالقياس باحتياجاتها البشرية والتنموية.

تعد إدارة مياه حوض النيل محدداً للتعاون الإقليمي في مجال الأحواض المائية المشتركة والعابرة للحدود؛ حيث إن مبادرة حوض النيل تهدف إلى دعم أواصر التعاون الإقليمي بين هذه الدول وحل المشكلات المتعلقة بالخلاف حول سد النهضة في إثيوبيا، وقد شملت اتفاقية سد النهضة

بين مصر وإثيوبيا والسودان تنفيذ توصيات لجنة الخبراء حول الدراسات الموصى بها في التقرير النهائي للجنة الخبراء الدولية خلال المراحل المختلفة للمشروع بغرض الاتفاق على الخطوط الإرشادية.

الأطماع الصهيونية بالنيل

يمكن تلخيص الأطماع الصهيونية في نهر النيل فيما يلي:

– مياهه أقرب من مياه تركيا، وتصل بالانسياب من منابعه المرتفعة حيث يمكن أن يصل إلى أم الرشراش (إيلات) والنقب أو حتى مدن الشاطئ، وذلك بضخ بسيط لا يحتاج إلى طاقة كبيرة مكلفة.

– توصيل مياهه أرخص وأقل كلفة من تحلية مياه البحر.

– غير معرض للجفاف على المدى المنظور.

– دول منابعه متعددة، ويمكن أن تشكل مدخلاً إلى أفريقيا، ووسيلة للضغط على مصر بطرق مختلفة، وكذلك السودان، وسوقاً للمنتجات الصهيونية.

أما ما يتعلق بمصر، فتتلخص الأطماع في تهديد مصادرها المائية النيلية، التي تشكل شريان حياتها باستغلال عاملين مهمين، هما:

– بُعد المنابع.

– تعدد دول المنابع.

والأخطار على الأمن المائي واضحة فيما ذُكر؛ لأن مصر تشكل حالياً أكثر من ٥٥٪ من سكان المنطقة (مصر وسورية الطبيعية وبلاد الشام والعراق).

تركيا والأمن المائي

تنبع من تركيا أنهار دجلة والفرات وقويق، ويصب في الأراضي الخاضعة لسيطرة تركيا نهر العاصي، لكنه لا يشكل نفس وزن دجلة والفرات، في حين أن الفرات هو النهر الرئيس لسورية، وعليه يقع سد الفرات وبحيرة الأسد التي تعتبر مصدراً من أهم مصادر الطاقة في سورية، وخزاناً مائياً من أهم الخزانات للزراعة ومياه الشرب.

أما دجلة الذي يخترق العراق كاملاً، فإنه أيضاً يمر لمسافة ٤٥ كيلومتراً تقريباً شمال شرق سورية قرب تلاقي الحدود الثلاثية (حدود العراق وسورية وتركيا)، بعد أن ينبع ويجري لمسافة تزيد على ٤٠٠ كيلومتر في تركيا.

وبالنسبة إلى الأبعاد السياسية والقانونية لمشكلة المياه في حوض نهري الفرات ودجلة، فإن الجانب القانوني يحفل بمجموعة من المعاهدات والاتفاقيات بين دول حوض الفرات ودجلة.

أما الجولان، فكما يقولون عن مصر بأنها هبة النيل، فإن جنوب بلاد الشام الطبيعية هو هبة الجولان.

الجولان يعني أنهار الحاصباني وبانياس والوزان والدان والأردن واليرموك وبحيرة طبريا، وتمتاز هضبة الجولان بغزارة أمطارها، ولهذا فالجولان غني بالمياه الجوفية والينابيع والآبار.

الأردن وندرة المياه

أما في الأردن، فإن متوسط نصيب الفرد السنوي لا يزيد على ١٠٠ متر مكعب من المياه المتجددة، وهو معدل متدنٍ للغاية، ويشير إلى وقوع الأردن تحت خطّ الأمن المائي بل قرب القاع.

وقد أوصى تقرير علمي دولي متخصص بدراسة ومراجعة منهجيات تصنيف «ندرة» المياه في الأردن، بأن يكون التركيز النهائي في عملية التصنيف على رواية قصة تحديات الأردن، بدلاً من إيجاد مقياس مثالي لتحديد نضاله.

وحذر التقرير الذي أعدته مبادرة إدارة المياه في الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية (USAID)، تحت عنوان «مراجعة منهجيات تصنيف ندرة المياه»، من احتمال خلق أزمة تتزايد بشكل واسع وغير متواز على النطاق العالمي، إثر المزيج الحاصل بين ازدياد محدودية مصادر الأردن وعزمه المستمر لتزويد ملاذ آمن للهاربين من العنف (المقصود تحمل الأردن لتبعات الأزمات السياسية في المناطق المجاورة).

وزاد التقرير أنه على الرغم من ضعف أمن المياه في المنطقة بأكملها، فإن وضع الأردن الفريد يمكن أن يكون مفهوماً فقط، عبر نظرة شاملة لتحدياته الحالية والمستقبلية، خاصة المتعلقة بالضغط الهائل في النمو السكاني للأردن

عدد سكان الوطن العربي يبلغ ٥٪ من سكان العالم بينما موارد المياه المتجددة فيه أقل من ١٪

أهم نهرين بالوطن العربي النيل والفرات معرضان للخطر لأنهما يصبان فيه لكنهما لا ينبعان منه

ومحدودية المصادر.

وأبرز التقرير مكانة الأردن الذي وصفه بأنه «يكافح في مواجهة مجموعة التحديات الفريدة»، مبيناً أن الأردن لا يفتقر فقط إلى الموارد المالية لمواجهة نقص المياه، إنما يتحمل الكثير من الصراعات الإقليمية المحيطة، ورأى أن الطريقة الفعالة للتعامل مع قضية ندرة المياه في الأردن هي التواصل مع الجهات المانحة والوكالات على حد سواء عبر تحقيق العدالة، وذلك بسبب تعقيد ظروف تلك الندرة في الأردن؛ حيث يوجد فيه ١٠ أحواض مائية جوفية مستنزفة مائياً، والحكومة تستعد لتنفيذ مشروع مائي وطني يوفر ١٥٠ مليون م٣ سنوياً من تحلية المياه.

الماء يطفئ النار، والتعاون الإقليمي في مجال الأحواض المائية المشتركة والعابرة للحدود ضرورة ملحة، وغياب علاقات تفاهم مع تركيا يهدد الأمن المائي تهديداً حياتياً لا يمكن التقليل من أهميته، وفي أسوأ الأحوال يمكن أن يتم اللجوء للتحكيم لحل المشكلات، بدون ازدواجية معايير، كما يمكن وضع إستراتيجيات للمستقبل، بهدف التبادل التجاري وفتح السوق أمام منتجاتها.

أيضاً يجب تعاون المجتمع الدولي لخفض الانبعاثات الحرارية وإجراءات الحفاظ على ارتفاع درجة حرارة الأرض، حيث إن العالم أمام خطر كوارث مناخية متزامنة.

كما ينبغي تأهيل أنظمة الإنذار المبكر للحماية من الفيضانات؛ حيث إن المنطقة معرضة للأخطار المناخية كالفيضانات الوميضية.■

خبير الأمن المائي المصري د. خيري عمر لـ«المجتمع»:

هذه وصفة علاج مخاطر الشح المائي

في هذا الحوار، حملنا بعض المخاوف الرائجة حول الأزمة المائية إلى الأكاديمي المصري المتخصص في مجال الأمن المائي د. خيري عمر، الذي ذهب إلى تصفية المخاوف والحديث بلغة علمية صارمة بعيداً عن «بروبجاندا» الإعلام، واضعاً يده على أبرز الإشكاليات والمخرج الأمثل منها، كما تحدث عن حقيقة الفزاعة من الكيان الصهيوني وحقيقة الأطماع وواقعيتها وقضايا أخرى.

حاوره بالقاهرة - براء ماجد:

● بداية، ما معنى الأمن المائي؟

- الأمن المائي هو توفير الحد الأدنى لكفاية الفرد لمدة عام كامل، وهناك معيار دولي لهذا الحد، والمعيار الثاني هو أن تتوافر للدولة وللمجتمع موارد مائية على المدى الطويل، بحيث لا تحدث اضطرابات بسبب نقص في الغذاء أو الشح المائي.

وطبقاً للمؤشرات الدولية، فإن أي بلد يقل فيه متوسط نصيب الفرد من المياه سنوياً عن ١٠٠٠ - ٢٠٠٠ متر مكعب يعتبر بلداً يعاني من ندرة مائية، وبناء على ذلك؛ فإن ١٣ بلداً عربياً تقع ضمن فئة البلدان ذات الندرة المائية.

● ما تقييمكم لمستوى الأمن المائي في العالم العربي والإسلامي؟

- الوطن العربي والإسلامي فيه تنوع في مستويات الكفاية من المصادر المائية؛ فهناك مناطق تعاني من الندرة، ومناطق مطيرة يزداد فيها نصيب الفرد من المياه وتقوم عليها الزراعة، ولكن الإشكاليات الرئيسة تلاحق المناطق التي لا يوجد بها أنهار.

فالأمور مستقرة في جبال الأطلس على سبيل المثال حيث الأمطار، وأيضاً في شمال ليبيا بمنطقة طرابلس وبنغازي، وسورية، وهذه المناطق مناظرة لمناطق الري في بلاد الأنهار.

تهدد حالة التصحر المتزايدة الأمن المائي كذلك سواء في جنوب الجزائر والمغرب وليبيا بجانب الحزام الصحراوي؛ وهو ما دفع السكان إلى الانتقال إلى شمال البلاد أو إلى أوروبا.

وتظهر الأزمة جلية في منطقة الجزيرة العربية والخليج؛ فهناك أمطار غير دورية في السعودية والكويت، ولا يتم استغلال سقوط الأمطار بشكل يوفر مياهاً في وقت لاحق.

ويعتبر انخفاض منسوب الأنهار كذلك إشكالية، وهو ما يعاني منه الأردن، على سبيل المثال، حيث يوجد انخفاض في نهر الأردن بشكل لافت.

● بعض المحللين يتحدثون عن خطر الكيان الصهيوني على الأمن المائي العربي، هل تتفق مع ذلك؟

- أرى أن «إسرائيل» لا تشكل أي تهديد على أمننا العربي المائي، حيث لا تعاني هي بالأصل من ندرة المياه المتدفقة، وقامت باستخدام التكنولوجيا في تعظيم الفائدة من مياه الأمطار، وهذا الفارق بينها وبين دول الطوق المحيط بها، فهؤلاء لم يهتموا بالأمن

> **مشكلتنا العربية والإسلامية في إقصاء التكنولوجيا عن الاستفادة من الأمطار**

المائي إلا متأخراً لحساب قضايا أخرى.

وما يقال على نطاق رائج من أن لدولة الاحتلال سياسات مائية تطمع في نهر النيل عبر أنفاق وترع لا أميل إلى جديته، فحتى لو كان هناك مثل هذا فهناك قانون دولي يمكن اللجوء إليه، وهناك اتفاقيات أفريقية تخص نهر النيل لا تعطي الحق منفرداً لأحد ليتصرف مع «إسرائيل» كما يحلو له، وحتى ما يقال عن دورها في بناء «سد النهضة»، هو عندي لا أصل له، فإثيوبيا خاضت تجربة البناء بصعوبة وباكتتاب داخلي، و«إسرائيل» لم تقدم لها ما يروج لها إعلامياً، ولكنها تحاول إثارة فزاعة بحضورها لا أكثر ولا أقل.

● ولكن حديث المخاطر من بناء «سد النهضة» تداولتها الحكومات المصرية المتعاقبة عقب ثورة يناير، والبعض تحدث عن مخطط صهيوني واضح في ذلك، أليس كذلك؟

- دعنا نبدأ الحديث من البداية الصحيحة، لتكوين حقيقة واضحة، فهناك نظريتان تحكمان بناء السد ومستقبله:

الأولى: أنه سوف يؤثر على مجرى نهر

د. خيري عمر.. في سطور

- أكاديمي مصري متخصص بارز في مجال الأمن المائي.
- حاصل على الماجستير والدكتوراه في العلوم السياسية من جامعة القاهرة.
- أستاذ العلوم السياسية في جامعة صقريا.
- عمل باحثاً في العديد من المراكز البحثية.■

النيل الأزرق للمرة الأولى في تاريخ النهر، والحديث عن توليد طاقة فقط وعدم اللجوء إلى الاستخدامات الزراعية قد لا يضر مصر، ولكن إذا أقيمت المناطق الزراعية في هذه المنطقة فمصر ستتأثر بشكل كبير، ولا شك.

المنظور الثاني في النظر للسد هو أن جيولوجيا المنطقة التي أقيم فيها هذا السد تقوم على تربة بركانية لا تتحمل القدرة المتولدة عن التخزين، خاصة تخزين ما يقرب من ٧٥ مليار طن متري من المياه، ما قد يؤدي إلى اهتزازات في التربة وزلازل تدفع إلى انهيار السد أصلاً، ومن هنا فالمخاوف المثارة جرى تضخيمها في ظل غياب الخبراء، ولذلك فإثيوبيا تضع في اعتبارها هذه المسألة، ولن تغامر بتخزين يضرها خاصة في منطقة الجنوب الإثيوبي، وسيضر غيرها.

ومن هنا، فقد ظهرت في الفترة الأخيرة مشكلات فنية ناتجة عن الفساد في البناء، وهو ما قيل بالتزامن مع اغتيال المشرف على بناء السد، وهو ما يدفعنا إلى التروي قبل الحديث عن مخاطر تضر قبل الانتهاء من المشروع، في ظل التأكيد الإثيوبي على توليد الطاقة فقط وعدم الاتجاه إلى مشروعات زراعية، وهو ما تنظر له مصر بدقة في الفترات الماضية بعد تسليم الملف لخبراء الري والأمن الخارجي.

وأرى أن الرواية المصرية للسد بسبب الحكومات المتلاحقة والمتقاربة غير متماسكة لاختلاف نظم الحكم، التي لم تستعن بمدرسة الري المصرية العريقة حتى عام ٢٠١٣م، فقد غابت «الري» والأجهزة الخارجية عن المشهد في عام ٢٠١٢م، وحضر الساسة في ظل تصارع الدولة العميقة مع الحكومة الجديدة للدكتور محمد مرسي، ولكن تم تدارك الأمر بعد ذلك بتسليم الملف لخبراء الري وأجهزة الأمن الخارجية بعد أن استقر الأمر للدولة العميقة في مصر، حتى تم وضع إطار قانوني عام ٢٠١٥م، وهو إجراء متأخر ولا شك، حيث استغلت إثيوبيا ذلك في خلق واقع جديد، أوجد خوفاً مصرياً واضحاً من المستقبل، ولكن مع الحديث عن الإدارة المشتركة كضمانة بدأت المخاوف تقل رويداً رويداً، من التحكم في مسألة الأضرار من عدمه.

ومن هنا أرى أن الأيادي «الإسرائيلية» بعيدة عن العبث بالأمن المائي المصري من هذه الناحية، في ظل دخول السلطة المصرية في اتفاقيات ومفاوضات ما زالت مستمرة مع وجود نظام جديد في إثيوبيا يرفع شعارات مكافحة الفساد ويحاول بناء علاقات جديدة مع دول الجوار.

كما أرى أن هناك عوائق جديدة قد تحُول دون إنهاء المشروع مع ظهور النظام الإثيوبي الجديد الذي يركز على أولويات مختلفة، بجانب الوضع المتوتر في السودان الذي قد يمنح مصر فرصة في المفاوضات أو قد يطيح بها في حال تغير النظام بنظام جديد له موقف آخر في مسألة الأمن المائي السوداني، وعلى كل فالأفضل الترقب والانتظار.

● ما أبرز ملامح القلق في ملف الأمن المائي في المحيط الإسلامي؟

– خارطة العالم الإسلامي ممتدة، ولكن منطقة الصحراء الكبرى التي توجد بها موريتانيا والنيجر تعاني من نقص في المياه، وبحيرة تشاد في انخفاض الآن، والوارد من نهر الكاميرون في تناقص، وكذلك الأنهار في الصومال.

ولكن ما عدا ذلك، فهناك دول كماليزيا وإندونيسيا وباكستان والجنوب الروسي في المناطق المطيرة التي تستغل الثلوج في الربيع والصيف نصيب الفرد فيها من المياه وافر، ولا تشعر بأزمة في هذا السياق الذي نتحدث فيه.

الكيان الصهيوني لا يشكل خطراً على مياهنا لأنه اتجه مبكراً للعلم واستفاد بكل قطرة مياه

● في ضوء ما سبق، هل الحديث عن الحروب القادمة المرتبطة بمسألة الأمن المائي مقبول وممكن؟!

– لا أرى في الأفق أي حروب تتصل بمسألة الأمن المائي، والخلافات الدائرة في الماضي القريب والحاضر تعاملت معها الدول بمفاوضات واتفاقيات ولجوء للتحكيم في بعض الحالات، والتوافق في حالات أخرى، ولذلك لم تلجأ الدول للحروب.

ولكنّ هناك احتمالاً ضعيفاً في نشوب حرب في حال تعقد المفاوضات في حوض النيل، وعدم التوصل لتوافق إيجابي يحمي حقوق الجميع، وهنا يظل الاحتمال قائماً ولو بصورة صغيرة، لكن لا يمكن نفيه بطبيعة الحال.

● هل يمكن أن نقدم وصفة علاج لحماية المنطقة من الشح المائي وتوابعه؟!

– خارطة العلاج تستلزم تضافر كل الجهود في البلدان الفقيرة مائياً، وفي مقدمتها التوعية باستخدام القيم الثقافية الدينية بطريقة تتصدى للأزمة بشكلها الحقيقي دون الاقتصار على توعية المواطن فقط وترك الإسراف في المناطق الزراعية والصناعية دون توجيه.

وأرى أن القيم الإسلامية غنية بعناصر إيجابية في الحد من الأخطار المحتملة إذا تم استغلالها على النحو الأمثل.

وبجانب البعد القيمي التوعوي، فالتكنولوجيا يجب أن تحضر بسرعة للمشهد، ويكفي ما مضى من تجاهل لهذا البعد الذي تفوقت فيه دولة الاحتلال الصهيوني، واستغلت به كل قطرة مطر تنزل على الأراضي المحتلة، وبالتالي يجب الاستفادة القصوى من الأمطار التي تتساقط بكثافة في سيناء والأطلسي والشمال الأفريقي والاستثمار فيه بمشاريع تمنع تحول نعمة الأمطار إلى نقمة كما نرى، ولتركيا وماليزيا تجارب ناجحة في ذلك المضمار يجب الاستفادة منهما.■

مازن البنا نائب رئيس سلطة المياه الفلسطينية بغزة لـ«المجتمع»:

واقع المياه بالقطاع وصل لمرحلة الكارثة

قال نائب رئيس سلطة المياه الفلسطينية بغزة مازن البنا: إن واقع المياه بغزة وصل لمرحلة الكارثة في ظل ارتفاع نسب العجز بالمياه، وقد انعكس ذلك على المياه وجودتها التي باتت الملوحة فيها مرتفعة بـ١٠ أضعاف النسبة المسموح بها من منظمة الصحة العالمية، لافتاً إلى أن الاحتلال هو السبب الأساس في واقع المياه المرير بقطاع غزة، ودعا في الوقت ذاته إلى الضغط على الاحتلال للسماح للجهات المانحة بتمويل مشاريع تحلية المياه، وإعادة تكرير مياه الصرف الصحي.

وقد حاورت «المجتمع» البنا حول واقع المياه في قطاع غزة، وارتفاع الملوحة والتلوث، ومخاطر ذلك على الصحة العامة، والحلول المقترحة للخروج من هذه الأزمة.

الكويت تساهم في تمويل مشروع ضخم للمياه في خان يونس

فلسطين – مها العواودة:

● حدّثنا عن مصادر المياه الأساسية في قطاع غزة.

– مصادر المياه الأساسية في قطاع غزة الخزان الجوفي، وهو يلبي احتياجاتنا من المياه بنسبة ٩٥٪، وهذا الخزان الساحلي مشترك مع الاحتلال، حيث يمتد من مدينة الكرمل في فلسطين المحتلة شمالاً حتى مدينة العريش المصرية جنوباً.

والطاقة المتجددة سنوياً لهذا الخزان الجوفي لا تزيد على ٦٠ مليون متر مكعب؛ فهو يعتمد بشكل أساس على مياه الأمطار، ويتم استخراج ٢٠٠ مليون متر مكعب سنوياً بعجز مائي يزيد على ١٤٠ مليون متر مكعب، وهذا يؤثر على نوعية المياه، حيث أصبحت ملوثة ومالحة.

● هل تسبب انخفاض مستوى الخزان الجوفي في تداخل مياه البحر معه؟ وما أثر ذلك على ملوحة المياه؟

– نعم هناك تداخل حدث بين الخزان الجوفي ومياه البحر المالحة بسبب الاستنزاف الكبير للمياه، فمن الجهة الغربية من الخزان توجد مياه البحر وعندما نستخرج من الخزان فوق طاقته الإنتاجية تدخل مياه البحر على مياهه؛ لذلك نجد في كل مياه غزة ارتفاعاً حاداً في الملوحة التي باتت لا تُطاق، وتحتاج لعلاج سريع، وأصبحت غير صالحة للاستهلاك، ولها آثار صحية خطيرة على حياة الإنسان.

● ما العوامل الأخرى الملوثة لمياه القطاع؟

– هناك مشكلة تتعلق بتلوث الخزان الجوفي بمياه الصرف الصحي، فكل المناطق المأهولة بالسكان تعتمد على تجميع مياه الصرف الصحي، ولا يتم التعامل معها بالشكل السليم، وهناك الحُفر الامتصاصية الخاصة بالصرف الصحي، وبالتالي يتسرب جزء من المياه الملوثة بمياه الصرف الصحي للخزان الجوفي؛ لهذا تتلوث المياه، والتربة الرملية تساعد على ذلك.

● هل هذا يعني أن مياه القطاع ملوثة ولا تصلح للاستخدام وفق معايير منظمة الصحة العالمية؟

– هناك ارتفاع في نسب النيترات في مياه القطاع بشكل مخيف، على سبيل المثال؛ في قياسات منظمة الصحة العالمية ألا تزيد نسبة النيترات في المياه عن ٥٠ مليجراماً في اللتر الواحد، بينما تصل في مياه القطاع إلى ٦٠٠ مليجرام، فهي أكثر من ١٠ أضعاف النسبة المسموح بها عالمياً، وتعد مدينة خان

غزة تعاني من عجز مائي يزيد على ١٤٠ مليون متر مكعب ما يؤثر على نوعية المياه

نستهلك سنوياً من الخزان الجوفي ثلاثة أضعاف طاقته المتجددة

يونس جنوبي القطاع أكبرها نسبة في التلوث بالنيترات؛ لأنها منذ فترة طويلة تعتمد على الحفر الامتصاصية.

● **هل للكثافة السكانية في القطاع دور في أزمة المياه الحادة؟**

– قطاع غزة صغير (٣٦٤ كيلومتراً مربعاً)، ويعيش عليه أكثر من مليوني نسمة، بكثافة سكانية هائلة (٥ آلاف نسمة للكيلومتر المربع، وفي بعض المناطق تصل إلى ١٥ ألف نسمة)، وهذا يتسبب بزيادة الاستهلاك في المياه، ونضوب الخزان الجوفي الذي تم استنزافه بشكل كبير؛ فالكتلة البشرية الهائلة في القطاع زادت بعد نكبة عام ١٩٤٨م بفعل التهجير، وهناك نحو مليون وربع مليون لاجئ يحتاجون لكميات مياه مضاعفة، وبتنا غير قادرين على توفير المياه الصالحة للسكان.

● **باعتقادك، ما الحلول المقترحة لمشكلات المياه الخطيرة في غزة؟**

– الحل يتمثل بتوفير مصادر مياه جديدة بعيداً عن مصادر المياه المحدودة في الخزان الجوفي، نحن كسلطة مياه وضعنا خطة كاملة لإدارة الخزان الجوفي، هذه الخطة تمتد من عام ٢٠٠٠ حتى ٢٠٢٠م، يجب أن يتم بناء منشآت جديدة توفر لنا مياهاً بجانب المياه الجوفية، مثل محطات تحلية مياه البحر، ومعالجة مياه الصرف الصحي، ولكن للأسف تلك المشاريع لم يتم إنجازها بسبب الواقع السياسي والحصار الإسرائيلي المتواصل منذ ١٢ عاماً، من خلال مماطلة ومنع الاحتلال دخول الأجهزة الخاصة بالتحلية، ولذلك تأخر إنجازها، وهناك مشاريع قيد التنفيذ كان من المفترض أن تُنجز خلال السنوات العشر الماضية.

نسبة النيترات في المياه ١٠ أضعاف النسبة المسموح بها من منظمة الصحة العالمية

الواقع السياسي والحصار الصهيوني منذ ١٢ عاماً منعا إنشاء مشاريع لتحلية المياه

● **هناك مشاريع إسعافية لتحلية المياه ما زالت قيد التنفيذ في القطاع.. حدثنا عنها.**

– هناك محطة في شمال القطاع تم إنجازها على مرحلتين شرق جباليا، وأنشئت بهدف ترشيح ومعالجة مياه الصرف الصحي بتمويل من قبل البنك الدولي والاتحاد الأوروبي، ومشروع في الوسط يتم تمويله لتحلية مياه البحر بتمويل من ألمانيا.

● **ما مشاريع دولة الكويت في تحلية ومعالجة مياه الصرف الصحي بغزة؟**

– دولة الكويت الشقيقة بالشراكة مع اليابان تنفذان مشروع إنشاء محطة لمعالجة مياه الصرف الصحي في شرق مدينة خان يونس بمنطقة صوفا، بمنحة مشتركة بقيمة ٥٠ مليون دولار، وهذا المشروع الكويتي الياباني سيكون له أثر كبير في معالجة مياه الصرف الصحي في جنوب القطاع.

● **ما خطتكم في المستقبل كسلطة مياه فلسطينية لتجاوز هذه الأزمة؟**

– مشروع تحلية المياه هو هدفنا، هناك حالياً مشروع ممول من البنك الإسلامي للتنمية ينفذ في بيت لاهيا شمال غزة، وهدفه تزويد القطاع بالمياه بقدرة إنتاجية تقدر بـ١٠ آلاف لتر مكعب يومياً، بتكلفة ١٥ مليون دولار، وهذه المشاريع الدولية جاءت لإنقاذ مياه الشرب في غزة من الواقع الخطير الذي وصلت إليه، وهناك مشروع التحدي الأكبر بقيمة ٥٠٠ مليون دولار نطمح للوصول إليه في المستقبل بقدرة إنتاجية في المرحلة الأولى تبلغ ٥٥ مليون متر مكعب سنوياً، ونتوقع في عام ٢٠٣٠م أن يتم رفع الإنتاج لـ١١٠ ملايين لتر مكعب سنوياً، لكن هذا المشروع يصطدم بالاحتلال وعملية التمويل، وأقول: هذا هو الحلم لحل مشكلة المياه المستعصية في قطاع غزة، وواقع المياه وصل لمرحلة خطيرة للغاية تتطلب أن يتحرك المجتمع الدولي لحلها.■

الأمن المائي في تونس..
هطلت الأمطار وبانتظار حفر الآبار

تنفس التونسيون الصعداء في نوفمبر الماضي عندما هطلت كميات كبيرة من الأمطار التي تسببت في بعض الفيضانات، بعد ثلاث سنوات من الجفاف، وهو ما أثار قلق وانشغال الرأي العام بأزمة الماء التي يشكو منها عدد من الجهات في تونس، حيث تختلف من منطقة إلى أخرى في الحجم والمدة الزمنية والأضرار المترتبة عليها.

تونس - عبدالباقي خليفة:

شهدت مناطق من ولاية المهدية (وسط تونس) انقطاعاً للمياه أدى إلى نفوق عدد كبير من الماشية؛ ما أدى إلى تواصل الاحتجاجات في مناطق متفرقة من عدة ولايات؛ حيث ظل الماء منقطعاً لمدة ٧ أشهر، نفقت فيها الحيوانات ويبست فيها الأشجار، وهو ما اضطر المواطنين إلى البحث عن الماء وتجشم عناء جلبه من مسافات بعيدة عنهم في أوانٍ وأوعية بلاستيكية، وعلى ظهور الحيوانات، وأفرز ذلك احتقاناً كبيراً، وغضباً لدى الأهالي، سوّل لهم قطع الطرق، وإشعال الإطارات المطاطية، وهو ما اضطر السلطات التنفيذية للخروج من مكاتبها للتفاوض مع المحتجين لإنهاء الاحتجاجات.

وبعد الأمطار التي شهدتها مختلف المناطق التونسية نهاية عام ٢٠١٨م، بلغت نسبة امتلاء السدود بتاريخ ١١ يناير ٢٠١٩م نحو ٥٧٪، ليصل حجم مخزون السدود ملياراً و٢٦٥ مليون متر مكعب، وقد سجل مخزون السدود تحسناً ملحوظاً مقارنة بالسنوات الثلاث الماضية، حيث كانت كميات المياه في الفترة نفسها تقدر بـ٧٩٥ مليون متر مكعب، في حين أن طاقة استيعاب السدود تبلغ ٢,٢ مليار متر مكعب.

أسباب الأزمة

تشير الدراسات الميدانية إلى أن أزمة الماء في ذلك الحين لم تكن مفاجئة للخبراء، رغم أن نقص الأمطار في السنوات الثلاث الأخيرة زاد من استفحالها، علاوة على عوامل أخرى ساهمت بدورها في بلوغ الأزمة حدها المعلوم، ففي دراسة أعدت عام ٢٠٠٧م حذّر معدوها من أن تونس تتجه إلى الجفاف الشديد؛ ما يفرض ضرورة التخلي عن الغراسات غير المربحة اقتصادياً، وفرض طريقة السقي قطرة قطرة، لا سيما أن الفلاحة أكبر مستهلك للماء؛ حيث تستهلك ٨٢٪، في حين لا يمثل الماء الخاص بالشرب سوى ١٨٪ من نسبة الاستهلاك، وهو ما يعكس في إحدى صوره القدر الذي يحصل عليه الفرد في تونس من الماء والمقدّر بـ٤١٩ متراً مكعباً في السنة، وهو أقل من المعدل العالمي الذي يصل إلى ألف متر مكعب في السنة.

وفي هذا السياق، قال وزير الفلاحة (الزراعة) التونسي السابق محمد بن سالم لـ«المجتمع»: إن مجموع السدود التونسية، وخاصة سد سيدي سالم (وسط) وهو سد كبير، يمكن أن يعطينا مخزون ٣ سنوات، وإن الاستهلاك للزراعة والشرب والسياحة والصناعة في حدود ٢٠٠ مليون متر مكعب في السنة.

وللأسف، فإن سد سيدي سالم لم تتوافر فيه كميات من الماء إلا لحاجة أقل من سنة واحدة، أي نحو ١٨٠ مليون متر مكعب، ومن رحمة الله أن بقية السدود كانت تتوافر فيها كميات معتبرة وإن كانت دون المأمول؛ لأن كميات الأمطار في أقصى الشمال كانت دون المستوى المعهود، علاوة على أن نهر مجردة (شمال) لم تكن به كميات كبيرة، وهذا ما جعل تكلفة ضخ المياه من جهة عين دراهم وطبرقة (شمال تونس) كبيرة؛ لأن مياه مجردة لا تحتاج لضخ صناعي، كما هي الحال من عين دراهم وطبرقة.

كما تشير الإحصاءات إلى أن المجامع المائية تعاني بدورها من العديد من الإشكاليات، حيث تراجع عددها من ٣٠٢ إلى ٩٢ جمعية، بسبب مشكلات عدم خلاص

الفواتير، وسوء الإدارة، وغياب إطار ينظمها.

وتسجل تونس عجزاً سنوياً يقدر بـ٢٧٥ مليون متر مكعب، إذ تستهلك سنوياً ٤٨٤٥ مليون متر مكعب، في حين تبلغ مواردها المائية ٤٥٠٣ ملايين متر مكعب، ويقدر استهلاك القطاع الصناعي بأكثر من ٤٠٠ مليون متر مكعب، والاستهلاك المنزلي نصف مليار متر مكعب، وهو يقرب من رقم نصف مليار متر مكعب التي نضبت من السدود التونسية بسبب نقص كميات الأمطار واستمرار الجفاف للسنة الثالثة على التوالي، وهو ما جعل مخزون السدود لا يتعدى ٩٨٠,٢٥١ مليون متر مكعب، أي ٣٧٪ من معدل استيعابها وهو ملياران و٧٠٠ مليون متر مكعب، وقد خصصت الدولة ٢٠٠ مليون دينار لصيف ٢٠١٨م لمعالجة مشكلات التزود بالمياه الصالحة للشرب.

ووفقاً لبعض الأرقام الرسمية، فهناك نحو مليار دولار خسائر تتكبدها تونس من جراء الجفاف، حسب الاتحاد التونسي للفلاحة والصيد البحري، ويزيد من خطورة الوضع، وفق وزير الزراعة التونسي السابق، أن ٣٠٪ من شبكات وقنوات الري قد اهترأت بعد مضي أكثر من ٣٠ عاماً على إنجازها، وهو ما يفسّر عمليات العطوب الكبيرة والخطيرة على السكان، لا سيما تلك التي تعبر من خلال الأحياء الآهلة بالناس، وتقدر تكاليف صيانة الشبكات المهترئة وفق بعض التقديرات بـ٧٠ مليار دولار.

وإلى جانب غياب الصيانة، وعدم تجديد القنوات وشبكات المياه، هناك إشكال آخر يتمثل في عدم حفر آبار جديدة كافية وبعمق مطلوب، فزغوان -على سبيل المثال- معروفة تاريخياً بأنها مصدر للمياه، وبها معبد روماني للمياه، ومعروفة تاريخياً بأنها المزود الرئيس للعاصمة بالماء؛ ففيها بئر كبيرة تعطي ٧٢ لتراً في الثانية، نقصت عام ٢٠١٧م إلى ٢٦ لتراً، وفي عام ٢٠١٨م نزلت إلى ١٨ لتراً.

اقتراحات وحلول

وحلاً لهذه الأزمة -التي تضرر منها سكان العديد من مناطق البلاد ولا سيما في الوسط والجنوب والجنوب الشرقي، بل في المناطق التي تعد أحد مصادر

وزير الزراعة التونسي السابق محمد بن سالم

المياه كجندوبة وزغوان، ومناطق أقصى الشمال التونسي التي يتوافر بها ٤٥٠ مليون متر مكعب من الموارد السطحية المتاحة وغير المستغلة وهي تتوزع على ٢٨٦ مليون متر مكعب بسد البراق و٢٢٢ مليون لتر مكعب بالسد الكبير، و٢٦ مليون متر مكعب بسد المولى، و٦٩ مليون متر مكعب بسد سجنان- ينتظر الجميع موعد عمل ٤٠ محطة مبرمجة لتحلية مياه البحر، وحفر آبار عميقة جديدة في المناطق التي تشكو انقطاعاً أو نقصاً في المياه، وفرض

بعد أمطار عام ٢٠١٨م بلغت نسبة امتلاء السدود ٥٧٪ ليصل حجم مخزونها ملياراً و٢٦٥ مليون م٣

الزراعة تستهلك ٨٢٪ وماء الشرب ١٨٪ وهو أقل من المعدل العالمي

البلاد تسجل عجزاً سنوياً ٢٧٥ مليون م٣ إذ تستهلك ٤٨٤٥ مليوناً وتبلغ مواردها ٤٥٠٣ ملايين

حل الأزمة يتمثل في عمل ٤٠ محطة لتحلية مياه البحر وحفر آبار جديدة

تزويد جيران أصحاب تلك الآبار وفق عقود قانونية بالماء سواء للزراعة أو الشرب على قاعدة «اسق ثم أرسل الماء لجارك»، وعلى قاعدة «الناس شركاء في ثلاث؛ الماء والنار والكلأ»، على أن يتحمل الجيران جزءاً من التكلفة وفق اتفاق مسبق برعاية الإدارة الرسمية، إضافة إلى مقاومة عمليات الربط العشوائي، واعتماد الطرق الحديثة في استهلاك الطاقة النظيفة وتقليص الطاقة المستوردة إلى حد الاستغناء عنها نهائياً.

ولا شك أن دراسة حاجيات المناطق التونسية يتم وفقاً للمعطيات المحلية لكل منطقة، مع الإسراع بإنجاز سد «القلعة» (وسط) الذي كان مخططاً الانتهاء من أشغاله في عام ٢٠١١م، فعندما تولت حكومة الترويكة السلطة عام ٢٠١٢ و٢٠١٣م لم تكن الدراسات مكتملة، وكان ذلك مفاجأة غير متوقعة لا سيما أنه تم العثور حينها على ممولين للمشروع؛ وهو ما ساهم في توالد الأزمة واستمرارها.

ومن المفارقات أن تعيش ولاية زغوان (غرب العاصمة تونس) التي كانت ولا تزال مصدراً للمياه لتونس ومناطق أخرى حالة انقطاع الماء لعدة أيام؛ لأن شركة الماء العمومية لم تأخذ الاحتياطات اللازمة لمثل هذه المسؤوليات وحقوق المواطنين الدستورية، وتحديداً الحق في الماء.

كما كان لتأخر إنجاز محطات تحلية المياه ومنها المبرمجة في صفاقس وجربة دور في الأزمة، مما يتطلب الإسراع في إنجاز مثل هذه المشاريع التي من المفروض أن تعمل الآن كسد القلعة حسب ما خطط لها سابقاً، برؤية استشرافية تدرك أن النقص ابتدأ منذ عام ٢٠١٤م وليس عام ٢٠١٦م كما يروّج البعض.

وكان لتأخر إنجاز الدراسات دور كبير في هذا التأخير؛ وبالتالي تفاقم الأزمة، وهي ليست أزمة طبيعية، بل إجرائية، كما يشير بن سالم، تتحمل بعض السلطات المسؤولية عنها، وتحلية المياه كحل إستراتيجي وممكن في تونس (١٥٠٠ كيلومتر شواطئ) يحتاج بدوره لاستخدام الطاقات البديلة، لأن تحلية المياه بالوسائل التقليدية وبالطاقة المستوردة يكلف كثيراً، وبالتالي الوضع ليس كارثياً إذا تعاملنا معه بمسؤولية، ويوم تحل مشكلة الطاقة ستحل مشكلة الماء.■

د. رضوان شكر الله الخبير المغربي في الأمن المائي لـ«المجتمع»:

في عام ٢٠٣٠م قد تنخفض موارد المياه المتجددة بنسبة ٢٠٪

يقدم د. رضوان شكر الله، الأستاذ في جامعة ابن زهر بالمغرب، معطيات حول ندرة المياه في الدول العربية والإسلامية، وتأثير التغيرات المناخية على توزيع المياه في العالم.

ويشرح الخبير بالأمن المائي، في حوار مع «المجتمع»، كيف أن الاقتصاديات النامية تسير بسرعة إلى صناعة أكبر، ويتم ذلك في كثير من الحالات بدون التكنولوجيا الحديثة لتوفير المياه ومكافحة التلوث، ويبرز أنه بحلول عام ٢٠٣٠م من المتوقع أن تقلل آثار تغير المناخ من موارد المياه المتجددة بنسبة ٢٠٪ إضافة بسبب انخفاض هطول الأمطار، وارتفاع درجات الحرارة وارتفاع منسوب مياه البحار.

حاوره في الرباط - عبدالغني بلوط:

● **كيف يمكن تعريف «الأمن المائي» علمياً؟**

– يتم تعريف الأمن المائي من قبل الأمم المتحدة على أنه قدرة السكان على ضمان الوصول المستدام إلى كميات كافية من المياه ذات جودة مقبولة للمحافظة على سبل العيش ورفاه الإنسان والتنمية المستدامة؛ الاجتماعية والاقتصادية، وتوفير الحماية ضد التلوث، والحفاظ على النظم الإيكولوجية في مناخ من السلام والاستقرار السياسي.

● **كيف تؤثر التغيرات المناخية على توزيع المياه في العالم؟**

– من بين أخطر المشكلات في علوم الأرض والسياسة البيئية التي تواجه المجتمع التغيرات المحتملة في دورة مياه الأرض بسبب تغير المناخ.

وتتمثل العواقب الرئيسة لتغير المناخ فيما يتعلق بموارد المياه بالزيادة في درجات الحرارة، والتغيرات في أنماط سقوط الأمطار والغطاء الثلجي، فضلاً عن الزيادة المحتملة في تواتر الفيضانات والجفاف، واعتماداً على معطيات كل منطقة، سيكون لتغير المناخ تأثيرات مختلفة جداً على أنظمة المياه.

ويؤدي تغير المناخ إلى تكثيف هذه الدورة؛ لأنه كلما ازدادت درجة حرارة الهواء؛ تبخر المزيد من الماء في الهواء، ويمكن أن يحتوي الهواء الأكثر دفئاً على مزيد من بخار الماء، الذي يؤدي إلى عواصف مطيرة أكثر كثافة؛ مما يسبب مشكلات كبيرة مثل الفيضانات الشديدة في المجتمعات الساحلية حول العالم.

ويخلص التقرير الفني للفريق الحكومي الدولي المعني بتغير المناخ والمياه إلى أنه على الرغم من الزيادة العالمية في معدل سقوط الأمطار، فإن العديد من المناطق تعاني من مشكلات الجفاف، بما في ذلك منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا؛ ونتيجة لذلك، يقدر التقرير بشأن التكيف مع تغير المناخ أن نحو مليار شخص في المناطق القاحلة قد يواجهون ندرة متزايدة في المياه.

وأشار تقرير حديث لبرنامج الأمم المتحدة للبيئة إلى أن التأثير المباشر لتغير المناخ ليس السبب الوحيد الذي يقلقنا بشأن ندرة المياه العذبة في المستقبل؛ ففي الواقع فإن الزيادة في عدد سكان العالم تؤدي إلى ارتفاع الطلب الزراعي؛ وبالتالي زيادة استخدام المياه لأغراض الري، وفي الوقت نفسه، فإن الازدهار المتزايد في بعض البلدان يعني أن المزيد من الناس لديهم أسلوب حياة أكثر كثافة في استخدام المياه، بما في ذلك ري الحدائق وتنظيف السيارات واستخدام الغسالات والحمام.

كما تسير الاقتصاديات النامية بسرعة إلى صناعة أكبر، ويتم ذلك في كثير من الحالات بدون التكنولوجيا الحديثة لتوفير المياه ومكافحة التلوث؛ لذلك يجب النظر في مخاوف تغير المناخ بالاقتران مع إدارة التلوث والطلب على المياه.

● **كشف تقرير للبنك الدولي عن ندرة في المياه بشمال أفريقيا والشرق الأوسط، هل يمكن للحكومات المحلية مواجهة هذه الإشكالية؟**

– تعد ندرة المياه في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا أحد التحديات

الرئيسة التي من المتوقع أن تزداد مع مرور الوقت بسبب العديد من العوامل، بما في ذلك النمو السكاني وانعدام الأمن الغذائي وتغير المناخ، ويعيش نحو ٤٠٪ من سكان شمال أفريقيا والشرق الأوسط بالفعل في ظروف ندرة المياه المطلقة، وما بين عامي ٢٠٠٥ و٢٠١٥م انخفض معدل توافر المياه العذبة سنوياً للفرد في المنطقة بنحو ٢٠٪، من حوالي ٩٩٠ إلى ٨٠٠ م٣.

ويأتي نصف الموارد المائية المتجددة في المنطقة العربية من خارج حدودها في غياب الاتفاقات القانونية لتنظيم تقاسم المياه، كما أن الاستغلال المفرط وتلوث الموارد المائية هما السبب في انخفاض كمية ونوعية المياه، وكذلك تدهور النظم البيئية.

وتؤدي الآثار الطويلة الأجل لتغير المناخ إلى تفاقم الوضع الناشئ عن ندرة المياه المزمنة، وبحلول عام ٢٠٣٠م من المتوقع أن تقلل آثار تغير المناخ من موارد المياه المتجددة بنسبة ٢٠٪ إضافية؛ بسبب انخفاض هطول الأمطار وارتفاع درجات الحرارة وارتفاع منسوب مياه البحار وزيادة عمليات الترسب في مياه البحر بطبقات المياه الجوفية الساحلية، وتستخدم غالبية موارد المياه في المنطقة لأغراض الزراعة (٨٤٪)، بينما تستهلك القطاعات البلدية والصناعية على التوالي حوالي ٩٪ و٧٪ من إجمالي استهلاك المياه.

وهناك حاجة ملحة للدعوة إلى الإدارة المتكاملة لموارد المياه، التي تقوم على المشاركة العامة والتعاون المشترك بين القطاعات، ولحل مشكلات المياه يجب أن يجلس الجميع لمناقشة الأمر؛ ففي كثير من الأحيان يتم اتخاذ القرارات بطريقة مجزأة أو دون الاستماع إلى المستخدمين، بالإضافة إلى ذلك هناك خيارات للمساعدة في حل مشكلات ندرة المياه مثل تحلية ومعالجة المياه وإعادة استخدام مياه الصرف الصحي.

● كثيراً ما نسمع عن ضرورة اللجوء إلى «المياه غير التقليدية» كوسيلة لضمان الأمن المائي، ما هذه المياه؟ وكيف تساهم في هذا الأمر؟

– في مواجهة تزايد المنافسة بين القطاعات على المياه العذبة، تتحول العديد

رغم زيادة سقوط الأمطار قد يواجه نحو مليار شخص في المناطق القاحلة ندرة متزايدة في المياه

هناك حاجة ملحة للإدارة المتكاملة لموارد المياه التي تقوم على المشاركة العامة بين القطاعات

من مناطق ندرة المياه إلى مصادر مائية أخرى، مثل مياه الصرف الصحي المعالَجة، والمياه المالحة للاستخدام الزراعي وغيرها من مصادر المياه، ويتفق العديد من العلماء وصانعي السياسات وأعضاء الجمهور على مساهمة المياه غير التقليدية في الأمن الغذائي، ومن المسلّم به أن هذه المياه يجب أن تدار بشكل جيد لمراعاة الآثار البيئية والمشكلات الاجتماعية.

وقد تم تطوير عدد من التقنيات، بما في ذلك استخدام المياه التقليدية وغير التقليدية (مثل المياه المالحة، والمياه العادمة المعالَجة، والمياه الصناعية، ومياه البحر)، وأصبحت إعادة التدوير وإعادة استخدام المياه العادمة ذات أهمية متزايدة لسببين في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، هما:

أولاً: غالباً ما تكون مياه الصرف الصحي المعالَجة بشكل جيد مورداً مهماً من الموارد المائية، وغنية بالمواد المغذية لإنتاج المحاصيل.

ثانياً: من الصعب والمكلف بشكل متزايد تصريف مياه الصرف الصحي في المياه السطحية، حيث تصبح متطلبات المعالَجة أكثر صرامة لحماية بيئات الاستقبال مثل الأنهار ومصبات الأنهار والشواطئ.

وينبغي إدماج إعادة استخدام المياه المستعملة المعالجة في الزراعة بإستراتيجية شاملة لإدارة التربة والمياه تأخذ في الاعتبار إمدادات المياه، ونوع تكنولوجيا المعالجة، والاستخدام النهائي، والسياق الاجتماعي والاقتصادي.

وتعمل إعادة استخدام المياه العادمة المعالَجة على تحسين إنتاجية الزراعة في العديد من بلدان الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، ولكنها تتطلب حماية الصحة العامة، وتكنولوجيا العلاج المناسبة، والقبول العام والمشاركة.

ويمكن أن نقوم بتقييم الوضع الحالي فيما يتعلق باستخدام وأهمية المياه العادمة في الزراعة، والنظر عامة في الخيارات التكنولوجية والمؤسسية والسياسات التي يمكن أن تساعد في زيادة فوائدها وفرصها مع الحد من التأثيرات السلبية، المحتملة على الناس والبيئة.

● يشهد المغرب بسبب موقعه الجغرافي أوضاعاً مناخية متباينة، وتتفاوت التساقطات المطرية على أراضيه باختلاف الأقاليم والمواسم، كيف يمكن أن يواجه ذلك؟

– يعد توافر المياه في المغرب قضية حاسمة، حيث يبلغ نصيب الفرد من موارد المياه المتجددة في العديد من أحواض الأنهار بالمغرب أقل من ٥٠٠ متر مكعب سنوياً، من أجل حل هذه الحالة الحرجة، تدعم العديد من مشاريع الإستراتيجية المغربية لأمن المياه الإدارة الفعالة للموارد المائية واستخدامها.

ويؤدي استمرار استخراج المياه الجوفية بمعدل غير مستدام إلى ندرة المياه على المستويين الوطني والإقليمي؛ فحالة حوض سوس ماسا جنوب المغرب مثلاً، يعاني بالفعل من عجز في المياه يزيد على ٢٦٠ مليون متر مكعب في السنة، وأدى ذلك إلى أن تعتمد وكالة مستجمعات المياه على موارد المياه غير التقليدية، وخاصة في مجال تحلية المياه، لتلبية الاحتياجات المائية للقطاعات البلدية والصناعية والزراعية، ولإعادة استخدام المياه العادمة المعالجة، ولتكملة المياه الجوفية في القطاع الزراعي.

● كيف يمكن للمواطن أن يساهم في تحقيق الأمن المائي؟

– يجب أن تقوم الحكومة وقطاع المياه بإجراء استثمارات كبرى في تقنيات التربية والتكوين بمجال توفير المياه، يصل آثارها مباشرة إلى المواطن وخاصة الناشئة، كما سيكون الاستثمار المستمر في التعليم والبحث العلمي عنصراً أساسياً في توفير المعرفة والمهارات والتكنولوجيا اللازمة لمعالجة ندرة المياه العذبة في المستقبل.■

المياه في العراق.. واقع أليم

شهد العراق الصيف الماضي أزمة مياه حادة وصفها بعض الخبراء بأنها أخطر أزمة جفاف عرفها العراق منذ عدة عقود، خصوصاً في الجنوب منه وتحديداً في البصرة، وهو ما فتح الباب أمام المختصين والباحثين ليدلوا بدلائهم في هذا الملف الحيوي والحساس بأي دولة من الدول؛ تشخيصاً للداء ووصفاً للدواء.

بغداد - خاص «المجتمع»:

المتتبع لأزمة المياه في العراق يجد لها جوانب متعددة؛ حيث تنوعت أسبابها ما بين سياسية وأخرى بيئية وثالثة مجتمعية؛ فقد أرجع بعض المحللين الأمر إلى ملء السدود المائية التركية والإيرانية، بالإضافة إلى شحة كبيرة مفتعلة في مياه نهر الكارون من إيران مع زيادة نسبة ملوحته بسبب التخلص من ماء الري الزائد عن الزراعة فيه؛ وهو ما تسبب في قلة مستوى المياه الحلوة التي تصب في شط العرب، فأدى إلى دخول المياه البحرية المالحة من الخليج إلى شط العرب، وتسبب ذلك في صعوبة حصول أهل البصرة على مياه شرب نقية.

> **الأسباب السياسية حاضرة في الأزمة حيث استغلتها إيران للتدخل في تشكيل الحكومة**

> **بناء مزيد من السدود ليس له جدوى اقتصادية بل معالجة مشكلات الصيانة وتشغيل السدود الموجودة**

كما أضاف الخبراء أن مياه الصرف الصحي في البصرة والمناطق القريبة تصب في النهر وشط العرب بسبب عدم صلاحية محطات معالجة مياه الصرف الصحي الموجودة، وعدم عملها؛ مما تسبب في تفاقم الأزمة.

ويرى بعض المحللين أن أزمة المياه الحلوة حقيقية في جنوب العراق -خصوصاً في البصرة- وأن سوء الإدارة والاستخدام من الأسباب التي أدت إلى تفاقم الأزمة وتداعياتها.

وحسب المتابعين، فإن البعد السياسي في الأزمة ما زال حاضراً بقوة؛ حيث أدى توقف تزويد إيران للعراق بالطاقة الكهربائية، وخصوصاً في البصرة التي تعتمد في أغلبها على كهرباء إيران إلى تفاقم الأزمة بصورة كبيرة؛ حيث أرجع بعضهم ذلك إلى محاولة إيران من وراء ذلك التدخل في الانتخابات البرلمانية وتشكيل الحكومة العراقية، ولكن بعد تشكيل الحكومة ودخول فصل الشتاء حصلت زيادة واضحة في مياه الأمطار بالعراق والمنطقة؛ وهو ما كان له أثر واضح في تجاوز أزمة المياه ولو بصورة مؤقتة، حيث يمكن عودة الأزمة مجدداً في الصيف القادم مع تجدد أسبابها.

أسباب بيئية ومجتمعية

وبالإضافة إلى الأسباب السياسية آنفة الذكر، يرى بعض المتخصصين أن نهري دجلة والفرات يعانيان من عدة مشكلات، منها كمية المياه ونوعيتها بسبب ارتفاع نسبة الملوحة فيهما، التي تسبب فيها التجاوز والتعديات على جوانب النهر، بالإضافة إلى الترسبات والتلوث.

كما أن عدداً من البحوث والدراسات التي أجريت حول الجفاف أرجعت الأسباب إلى بعض الآثار البيئية والمجتمعية مثل تغير درجات الحرارة، ونسبة الرطوبة، والثروة السمكية والحيوانية (خاصة الجاموس) ومنتجاتها، وكذلك سقي حيوانات الرعي، وهجرة سكان الأهوار إلى المدن، وزراعة القصب المستخدم في صناعة الورق.

وحول دور السدود في حل هذه الأزمة، أقر المختصون أن السدود موجودة وتم إقرار بنائها منذ الأربعينيات؛ حيث تم وضع تصميم منظومة الري من قبل الخبراء البريطانيين والروس والإيطاليين بعد عام ٢٠٠٦م، وأكدوا أن السدود تعد ضمن حدود الكفاية للعراق، إلا أن إضافة سدود أخرى ستحسن من منظومة الري هناك.

لكن بعضهم يرى أن التفكير ببناء المزيد من السدود حالياً أصبح غير اقتصادي، وأن المطلوب الآن معالجة مشكلات الصيانة، وتشغيل السدود أكثر أهمية من بناء سدود جديدة؛ حيث ذهبوا إلى أن الموازنة

المخصصة للموارد المائية غير كافية في ظل غياب النظام والقانون وعدم وجود إستراتيجية أو خطط متعددة المراحل؛ فأصبح العمل عشوائياً منذ عام ٢٠٠٣م.

وحول نسبة التلوث وأسباب ارتفاعها، أرجع المتابعون السبب في ذلك إلى غياب القانون؛ حيث أقروا أن التلوث موجود في كل دول العالم، لكن القانون له الدور الأكبر في الحد من التجاوز فيه، وقد فاقم من الأزمة بالعراق غياب القانون في الفترة الأخيرة؛

من المتوقع انخفاض الطلب على البترول خلال السنوات العشر القادمة والعودة للزراعة بدلاً من الاستيراد

نتائج مشاريع المعالجة متدنية ولا تتناسب مع المبالغ التي تُصرف عليها

حيث تعرضت الأنهار للتجاوز، وتم بناء المنشآت داخل مجرى النهر مثل السماوة الذي تم بناء ملعب كرة قدم فيه وأحواض الأسماك، ومدائن الألعاب في بغداد، كما تم تصريف المياه الثقيلة ومخلفات المعامل والأنقاض داخل حوض النهر، كل ذلك بسبب انعدام تطبيق القانون.

تأثر الزراعة

الزراعة من المجالات لصيقة الصلة بملف المياه؛ فبسبب ارتفاع أسعار الطاقة الكهربائية والوقود للنقل وقلة الأمطار وشح المياه وتبوير الأراضي الزراعية بالعراق، أصبح سعر المنتجات الزراعية أغلى من المستورد؛ لذا توقف الفلاح عن الزراعة، وهاجر إلى المدينة أو انخرط في قوات الأمن المختلفة لحمل السلاح ليحصل على دخل شهري جيد ومؤمّن.

ولكن بقيت زراعة الشلب -وهي الظاهرة العشائرية في محافظتي النجف والديوانية- التي تستهلك كميات مياه تساوي ١٥ ضعف المحاصيل الأخرى، وبسبب رداءة نوعية المياه والأرض انحدر المنتج تدريجياً للأسوأ ثم الأقل سعراً، إلا أن الغالبية يزرعون تحت ضغط العرف والتقليد العشائري، رغم أن لديهم مصادر دخل أخرى تدر عليهم أضعاف ما يتحصلون عليه من الزراعة.

وحسب الخبراء، فإن ميزانيات الزراعة في العالم أجمع لا تزيد على ١٠٪، والعراق ليس بعيداً عن ذلك، ومهما تأثرت كميات المياه المخصصة للزراعة فلا خوف على كميات مياه الشرب والاستعمالات اليومية والأغراض الصناعية.

إن الذي يحدث الآن هو تحويل الدخل من البترول إلى الدخل من منتجات زراعية، ومع انخفاض أسعار النفط وازدياد إمكانيات استخدام الطاقة النظيفة، وتطور البحوث لبدائل الطاقة، سينخفض الطلب على البترول خلال السنوات العشر القادمة، وسيضطر العراق إلى العودة للزراعة المحلية بدلاً من الاستيراد؛ فالحل الآن -حسب المتخصصين- وضع خطة لتغيير السلوك الخاطئ في استخدامات المياه.

مقترحات علاجية

وبعد تشخيص الأزمة بجوانبها وأسبابها، اقترح المختصون بعض الحلول لها؛ مثل معالجة المياه، فعادة ما يتم استخدام المعالجة لغرضين؛ أولهما لمنع التلوث، والثاني لتوفير وسد الاحتياجات بسبب قلة المصادر؛ لذا دعوا إلى وضع دراسة مستفيضة متزامنة مع زيادة السكان، والحصول على الجدوى الاقتصادية قبل ذلك، ورأوا أن نتائج مشاريع المعالجة من قبل وزارة البلديات وأمانة بغداد متدنية ولا تتناسب مع المبالغ التي تُصرف عليها.

كما دعوا وزارة الموارد المائية إلى القيام بدورها في السيطرة على نوعيات وكميات المياه ومن ضمنها الآبار من باطن الأرض، ثم توزيعها حسب احتياجات أغراض الشرب والسقي الزراعي والحيواني، والأراضي الإنتاجية مثل استخراج النفط، وتبريد محطات توليد الكهرباء، والأغراض الصناعية الأخرى.

وبحسب الخبراء والمختصين العراقيين، فإن المطلوب حالياً ضمن الموازنة المائية التي تمنحها الدولة للوزارة الحفاظ على تشغيل وصيانة مشاريع الري الحالية، واتخاذ الإجراءات اللازمة للمشاريع الطارئة مثل الشحة والفيضان وزهرة النيل والشمبلان.

كما رأوا أن كميات المياه الواردة سنوياً قد تكون معقولة، إلا أن طرق الاستخدام مخالفة؛ بسبب الإسراف دون مبرر في كافة المجالات.■

المياه في ماليزيا.. وفرة بالموارد ومخاوف من المستقبل

أحمد سليمان
باحث مصري مقيم في ماليزيا

في فبراير ٢٠١٧م لم يكن حدثاً ذا شأن بماليزيا أن تنقطع مياه الشرب عن بعض المناطق في ولاية بينانج الصناعية، هذا حدث أقل من العادي في أماكن كثيرة من العالم، لكن الجديد أن انقطاع المياه لم يكن بسبب الأعطال أو الصيانة، بل كان توفيراً للمياه التي أوشك مخزونها على النفاد، لم نتوقع مطلقاً أن مياه الأمطار التي تبلغ حد الفيضان، التي تُنفق عليها المليارات لتصريفها يمكن أن تتراجع لتصل حد الندرة بسبب شهور الجفاف التي لا تقارن بأي جفاف نعرفه في منطقة الشرق الأوسط، فحتى في موسم الجفاف لا تنقطع الأمطار أسبوعاً كاملاً.

لم تكن ولاية بينانج الولاية الوحيدة التي عانت في عام ٢٠١٧م من نقص مخزون المياه، فقد نشرت «The Sun Daily» الصحيفة اليومية الماليزية أن احتياطي ولاية سلانجور من المياه العذبة وصل إلى صفر٪، وعانى سكان الولاية لمدة ١٠ أيام كاملة قبل تدفق المياه من جديد.

ربما تكون النظرة السطحية المتعجلة إلى كميات الأمطار التي تسقط على الولايات الماليزية في طول البلاد وعرضها هي التي توحي على نحو خاطئ أنه من الصعب أن تكون تلك البلاد تعاني من مشكلة نقص المياه، إلا أن الحقيقة التي تتضح مع مزيد من البحث والتقصي أن الخبراء المحليين لم يغفلوا بدءاً من عصر النهضة عن دراسة ذلك الملف، وأن ماليزيا كغيرها من الأماكن لها نصيبها من تحديات ملف المياه وعقباته ومخاوفه.

وفق الإحصائيات، فإن ماليزيا تحتل المرتبة الـ٢٠ بين دول العالم[1] في مصادر المياه العذبة، وتمتلك قرابة ٥٨٠ كم٣ من المياه المتجددة، وهذا موقع غاية في التميز إذا أخذنا في الاعتبار الفارق بينها وبين كل الدول التي سبقتها في هذا التصنيف من حيث عدد السكان والمساحة؛ فالتصنيف أخذ في الاعتبار فقط كمية المياه دون النظر إلى ما سواها من العوامل ذات التأثير، فعلى سبيل المثال؛ تمتلك الولايات المتحدة الأمريكية -التي تقع في المرتبة الرابعة وفق هذا التصنيف- على حصة تقدر بـ٣٢٦٩ كم٣ فقط، وهي أقل من ٦ أضعاف ما تمتلكه ماليزيا على الرغم من الفرق الهائل بينهما مساحة وسكاناً.

وتمثل الزراعة التي تعتمد على مياه الأمطار والأنهار في ماليزيا ١٢٪ من الناتج المحلي الإجمالي، ويعمل في المهن الزراعية المختلفة بشكل مباشر قرابة ١٦٪ من السكان.

كانت سنغافورة جزءاً من اتحاد الملايو حتى الثامن من أغسطس ١٩٦٥م، وفي عام ١٩٦٢م وقبل انفصال سنغافورة عن ماليزيا تم الاتفاق على أن يستمر تزويد جزيرة سنغافورة بالمياه عن طريق نهر جوهور الكبير لمدة مائة عام تنتهي في عام ٢٠٦٢م بسعر ٠,٠٣ رينجت لكل ١٠٠٠ جالون من المياه الطبيعية غير المعالجة، وهو سعر زهيد بمقاييس الزمن الحالي، وانطلاقاً من الحفاظ على ثروة البلاد الوطنية، فتح

د. مهاتير محمد هذا الملف أواخر فترة حكومته الأولى (١٩٨١ – ٢٠٠٣م)، وطالب بالتفاوض مع حكومة سنغافورة للوصول إلى سعر عادل، وطرحت حكومته آنذاك سعر ٠,٥٣ رينجت لكل ١٠٠٠ جالون من المياه، إلا أن سنغافورة لم تقبل هذا السعر، وبانتهاء حكم د. مهاتير وبعد وصول نجيب عبدالرزاق إلى الحكم غاب هذا الملف طي النسيان، ثم عاد إلى الواجهة من جديد بعودة د. مهاتير إلى سدة الحكم عام ٢٠١٨م؛ حيث يمثل الخلاف مع الجارة سنغافورة حول سعر المياه النزاع المائي الوحيد ذا الشأن في ملف المياه الماليزي.

مياه الشرب

حسب الموقع الرسمي لشركة مياه الشرب الماليزية، فإن ٨٧٪ من الأسر تستهلك كل منها أقل من متر مكعب من المياه يومياً، آخذين في الاعتبار حرارة الجو طوال العام، والارتفاع النسبي لمستوى الرطوبة؛ مما يدفع السكان إلى الاستخدام المتزايد للمياه على مدار اليوم.

فاتورة المياه في ماليزيا تصاعدية، ويبلغ متوسط سعر المتر المكعب عند مستويات الاستخدام العادية ٠,٧٠ رينجت (الدولار يساوي ٤ رينجت تقريباً) وبالنظر إلى مستوى أسعار السلع والخدمات الأخرى، فإن هذا يجعل سعر مياه الشرب من أفضل أسعار السلع والخدمات في ماليزيا.

تصل المياه النظامية إلى ما يزيد على ٩٥٪ من السكان، وتتفاوت جودة المياه المقدمة عبر أنابيب شركة مياه الشرب من ولاية إلى أخرى، وكما هي العادة فهي في المدن والحواضر أفضل منها في القرى والمناطق النائية؛ حيث تعد كوالالمبور العاصمة من أفضل الأماكن، تليها بينانج ثم ترينجانو، بينما يعاني بعض السكان في ولاية قدح التاريخية من شوائب في المياه، ويحتاجون -في العادة- إلى شراء مياه الشرب من ماكينات الفلترة المنتشرة في الشوارع أو المياه المعبأة.

تحديات وعقبات

أطلق معهد الموارد العالمي (WRI) -الذي طور «أطلس المخاطر المائية»- تحذيرات، منها أن عدة مناطق في ٨ ولايات ماليزية يتوقع أن تكون تحت تهديد الخطر المتزايد لنقص المياه بحلول عام ٢٠٢٠م.

فيما أرجع «بياراباكاران»، رئيس مؤسسة أبحاث المياه والطاقة (AWER)، زيادة الطلب على المياه إلى تزايد معدلات التنمية والكثافة السكانية؛ فزيادة عدد السكان مع ثبات الموارد -أو نقصها أحياناً- يمكن أن يؤدي إلى الإخلال بالتوازن المطلوب، وأضاف: نعم لدينا كمية كافية من المياه، ولكن بعض الأنهار ملوثة، وهذا يشكل خطراً.

أما رئيس جمعية الشركات الصغيرة والمتوسطة «داتو مايكل كانغ»، فيرى أن المياه تُبدد في المشاريع الصغيرة والمتوسطة، وعلينا أن نبدأ فوراً باتخاذ التدابير الوقائية للمستقبل، يجب أن نعرف كيفية الاستفادة الكاملة عبر إعادة التدوير، وجمع مياه الأمطار وتخزينها.

تحتل المرتبة الـ٢٠ بين دول العالم في مصادر المياه العذبة وتمتلك ٥٨٠ كم٣ من المياه المتجددة

الخلاف مع سنغافورة حول سعر المياه النزاع الوحيد في ملف المياه الماليزي

عدة مناطق في ٨ ولايات يتوقع أن تكون تحت تهديد الخطر لنقص المياه بحلول عام ٢٠٢٠م

التضاريس تقف عقبة أمام تخزين المياه حيث يُهدر ما بين ٤٠ و٥٥٪ من مياه الأمطار

ويعتبر البروفيسور «نجاي وينج تشان»، الأستاذ بجامعة ماليزيا للعلوم -إحدى أكبر الجامعات الماليزية وأحد الناشطين في مجال حماية البيئة- أن المياه واحدة من القضايا المركزية بماليزيا في القرن الحادي والعشرين، ويرى أن الحوكمة[٢] ذات أهمية قصوى في إدارة ملف المياه، فعلى الرغم من النجاحات التي حققتها الإدارة الحالية، وأن الفقراء لا يُحرمون من وصول المياه النظيفة، فإن العديد من المجالات ما زالت تحتاج إلى تحسين.

الجغرافيا وتغيرات المناخ كابوس جاثم على صدور المعنيين بأزمة الاحتباس الحراري وتداعياتها، وليست ماليزيا عنه ببعيد، فأي تغيرات في حرارة المنطقة قد تؤدي بدورها إلى تغيرات حادة في معدلات الأمطار.

وتقف التضاريس عقبة كأداء أمام المشكلة الأكبر في ماليزيا؛ وهي تخزين المياه، وحسب آخر الإحصاءات؛ فإن ما بين ٤٠ و٥٥٪ من مياه الأمطار تُهدر دون استفادة تُذكر؛ إما بالتسرب في أعماق الأرض في ظل عدم القدرة على تخزينها، وإما بالعودة من جديد إلى البحار التي تحيط بماليزيا من جهات ثلاث.

تمتلك ماليزيا فرصاً واعدة، وإمكانيات ضخمة، وموارد وفيرة، وعقولاً نابغة، وهي قادرة على التغلب على مشكلات الحاضر، وإعداد العدة لتحديات المستقبل، وتحتاج إلى خطة وطنية شاملة متوسطة وبعيدة المدى لإدارة ملف المياه لتحقيق الاستفادة القصوى، ولعل تجربة سنغافورة التي تستعد للاكتفاء الذاتي بعد انتهاء اتفاقيتها مع ماليزيا عام ٢٠٦٢م رغم ندرة الموارد والكثافة السكانية العالية وضيق المساحة تجربة جديرة بالتأسي.■

الهامشان

(١) حسب كتاب «The world fact book» الكتاب الدوري الذي تصدره وكالة المخابرات المركزية الأمريكية عن الحقائق التي توصلت إليها عن دول العالم.

(٢) الحوكمة في أبسط تعريفاتها: هي مجموعة القواعد التي تحكم إدارة المنظمات، وتقوم بالرقابة الفاعلة عليها، وتنظم العلاقة بين جميع الأطراف لحماية المصالح وتعظيم الأرباح.

هَدْيُ الإسلام في التعامل مع الماء

جاء الإسلام ليشرع للناس ما يحفظ معاشهم ويفيدهم في معادهم، وليس أكثر من الماء أهمية للحياة واستمرارها؛ فبدونه تهلك الكائنات الحية وتتوقف الحياة، ونظراً لخطورة الأمر وأهميته أولى الإسلام الماء عناية كبيرة؛ فوضع من التشريعات والآداب ما يحفظ الماء من الهدر، ويرشد استخدامه، ويضمن عدالة توزيعه بين الناس، وينوع مصادر استخراجه، ويحفظ نظافته وسلامته.

د. رمضان فوزي

من التشريعات والآداب التي تحفظ الماء من الهدر:

أولاً: التذكير بأهمية الماء للحياة

حرص الإسلام -في عشرات الآيات التي ورد فيها لفظ الماء- على إبراز أهيمته في الحياة؛ حتى يحرص الناس عليه حفظاً لحياتهم ومعاشهم وابتغاء رضوان ربهم.

فقد أبرز القرآن أن الماء أصل الحياة على هذه الأرض، فقد أخبر سبحانه عن ذلك في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَاۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (الأنبياء)، وقال عز من قائل: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (النور)، وقال عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًاۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾﴾ (الفرقان).

ومن مظاهر إبراز أهمية الماء في القرآن الكريم أيضاً قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ (المؤمنون)؛ فالشيء المنزل بـ«قدر» هو الشيء العزيز الغالي الذي يجب الحفاظ عليه، خاصة مع التهديد الإلهي الذي يُستشف من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾﴾؛ فإن لم تحافظوا على هذه النعمة فإننا قادرون على سلبها منكم، ثم في الآية التالية يشير سبحانه إلى النعم الحاصلة من هذا الماء -كما هي الحال مع كثير من الآيات التي تحدثت عن نزول الماء- فيقول تعالى: ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾﴾ (المؤمنون).

ويأتي هذا التهديد واضحاً في قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ (الواقعة).

الإسلام استبق العلم الحديث في التعامل مع تلوث الماء بالنهي عن التبول والنفخ فيه والأمر بتغطية الآنية

الإسلام جعل سقي الماء من أفضل أبواب الصدقة وحض على حفر الآبار

ثانياً: النهي عن الإسراف

الإسلام دين الوسطية؛ فهو ضد الإفراط والتفريط، وقد حارب الإسلام الإسراف والتبذير في كل شيء، قال تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ (الأعراف)، وقال سبحانه: وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾ (الإسراء).

ومن مظاهر محاربة هذا التبذير والإسراف هَدْي النبي ﷺ مع الماء، وهو النهي عن الإسراف فيه، حتى لو كان المرء على نهر جار يكثر فيه الماء؛ فقد روى عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ مر بسعد وهو يتوضأ،

فقال: «ما هذا السرف يا سعد؟»، فقال: وهل في الماء سرف يا رسول الله؟ قال: «نعم، وإن كنت على نهر جار» (رواه ابن ماجة).

ولم يكتف ﷺ في هذا الأمر بلسان المقال، بل أضاف له لسان الحال؛ فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يتوضأ بنحو المد، ويغتسل بنحو الصاع»، وعن سفينة مولى أم سلمة قال: «كان رسول الله ﷺ يوضيه المد ويغسله الصاع» (رواه الدارقطني).

فإذا كان هذا الأمر في مجال من أجلِّ المجالات التي يُستخدم فيها الماء وهو العبادات؛ فإن الأمر يكون أولى وأوجب في غيره من المجالات.

ثالثاً: النهي عن احتكار الماء

نظراً لأهمية الماء في الحياة، وخوفاً من استغلال طائفة من الناس له دون غيرها والتحكم فيه، حرص الإسلام على منع احتكار الماء؛ حيث يقول النبي ﷺ: «المسلمون شركاء في ثلاث: في الماء والنار والكلأ» (رواه أبو داود، وابن ماجة، وأحمد)، وفي رواية عند أبي داود: «الناس شركاء في ثلاث..»، فعمّ الناس كلهم، ولم يقصره على المسلمين.

ويعلق على هذا الحديث صاحب «شرح بلوغ المرام» فيقول: «جرم الماء السائل الشفاف هو الذي لا يُباع، وإذا زاد عن حاجتك فأعطه لغيرك، ولكن هذا من باب الإرفاق، وليس من باب الوجوب؛ فلو كان الماء جارياً في الوادي، ويمر على بلدك، أو على مزرعتك؛ فخذ حاجتك، ولا تبع الباقي، ولكن أرسله إلى مَن وراءك، وهكذا لو وجدت غديراً في الأرض (حفرة بها ماء) وليست ملكاً لك؛ فلا تملك أن تبيعها، ولو كانت في ملكك فلا تمنع أحداً يحتاج أن يأخذ الماء ما دام زائداً عن حاجتك».

وقال النبي ﷺ في حديث آخر: «لاَ يُمْنَعُ فَضْلُ المَاءِ؛ لِيُمْنَعَ بِهِ الْكَلأُ» (رواه البخاري ومسلم)، قال ابن بطال في شرحه لصحيح البخاري: «نهى أن يُمنع الماء، لئلا يُتذرع بذلك إلى منع الكلأ».

رابعاً: الحث على التصدق بالماء

لقد بلغ اهتمام الإسلام بسقي الماء مبلغاً عظيماً؛ حيث حث على سقاء الغير، وجعل ذلك الفعل من باب الصدقة التي يؤجر فاعلها، كما يؤجر حينما يتصدق من أمواله؛ بل جعله أفضل الصدقة، عن النفس أو الغير؛ فقد روي عن سعد بن عبادة قال: قلت: يا رسول الله، إن أمي ماتت أفأتصدق عنها؟ قال: «نعم»، قلت: أي الصدقة أفضل؟ قال: «سقي الماء» (شرح الزرقاني ٣/ ٧٤).

وروي عن طاووس عن ابن عباس -أظنه رفعه (شك ليث)- قال: «في ابن آدم ستون وثلاثمائة سلامى أو عظم أو مفصل، على كل واحد في كل يوم صدقة؛ كل كلمة طيبة صدقة، وعون الرجل أخاه صدقة، والشربة من الماء يسقيها صدقة، وإماطة الأذى عن الطريق صدقة» (صححه الألباني).

بل ويتجاوز الأمر سقي الآدميين إلى سقي الحيوانات؛ فعن أبي هريرة، قال: قال النبي ﷺ: «بينما كلب يُطيفُ بِرَكِيَّة كاد يقتله العطش، إذ رأته بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بني إسرائيل، فنزعت مُوقَهَا، فسقته، فَغُفِرَ لها به» (اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان).

خامساً: الترغيب في حفر الآبار

يُعد حفر الآبار ليشرب منها الناس والأنعام والطير باباً من أبواب التصدق بالماء الذي حث عليه الإسلام؛ فعن جابر بن عبدالله، عن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ حَفَرَ ماءً لم تشرب منه كبد حرَّى من جنٍّ ولا إنسٍ ولا سَبعٍ ولا طائرٍ إلا آجره الله يومَ القيامة» (جامع العلوم والحكم، وصحيح ابن خزيمة)، وقد روي أيضاً أنه ﷺ قال: «من حفر بئر رومة فله الجنة»، فحفرها عثمان رضي الله عنه (صحيح البخاري).

القرآن أكد أن الماء أصل الحياة على الأرض ونهى عن الإسراف في استخدامه

ويُعد توفير برادات الماء في المساجد والشوارع والأماكن العامة تطبيقاً معاصراً للتصدق بالماء في مقابل حفر الآبار قديماً، كما أن هناك بعض الدول في أفريقيا ومثيلاتها هي أشد ما تكون حاجة لحفر هذه الآبار.

سادساً: التشديد في النهي عن تلويث الماء

نظراً لأهمية الماء في الحياة، وإدراكاً لخطورة تلوثه على المخلوقات، استبق الإسلام العلم الحديث والطب الوقائي في التعامل مع هذا الأمر؛ حيث نهى الرسول ﷺ عن البول في الماء الراكد؛ حيث قال ﷺ: «لا يبولنَّ أحدكم في الماء الراكد» (صحيح مسلم، وابن ماجة)، بل وفي رواية للطبراني أنه ﷺ نهى أن يبال في الماء الجاري.

ونهى النبي ﷺ أن «يبول الرجل في مُستَحمه» (رواه أبو داود)، وقال ﷺ: «اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الماء وفي الظل وفي طريق الناس» (رواه ابن ماجة).

ويعد النهي عن البول والتبرز في الماء من أكبر أنواع الوقاية للماء من انتشار الأوبئة مثل البلهارسيا وغيرها من الأمراض التي قد تصيب من يضطر لاستخدام هذا الماء بعد ذلك.

ومن هديه ﷺ تغطية الآنية التي فيها طعام أو شراب حتى لا تتعرض للتلوث والأذى؛ حيث قال ﷺ: «غطوا الإناء، وأوكوا السقاء؛ فإن في السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر بإناء ليس عليه غطاء، أو سقاء ليس عليه وكاء إلا نزل فيه من ذلك الوباء» (صحيح مسلم).

بل وبلغ حرصه ﷺ في الحفاظ على نظافة الماء أن نهى عن النفخ في الشراب، وأن يكون التنفس أثناء الشرب خارج الإناء الذي يشرب منه، كما نهى ﷺ عن الشرب من السقاء مباشرة؛ حرصاً على عدم تلوث الماء من فم الشارب، خاصة إذا تبقى في الإناء شراب آخر لغيره؛ حتى لا يؤذيه.■

أنقرة وواشنطن.. وقرار الانسحاب والمنطقة الآمنة في سورية

د. سعيد الحاج
محلل سياسي مختص بالشأن التركي

تمثل العلاقات التركية - الأمريكية أحد الأمثلة الواضحة على الاضطراب والشد والجذب في مجال العلاقات الدولية خلال السنوات القليلة الأخيرة، فالبلدان اللذان تجمعهما عضوية حلف شمال الأطلسي منذ عام ١٩٥٢م، وشراكة إستراتيجية منذ عام ١٩٩٥م، يبدوان أحياناً أقرب للخصومة والعداء منهما للتحالف والتعاون.

تؤزم ملفات خلافية كثيرة العلاقة بين البلدين، ابتداءً من دعم الولايات المتحدة لفصائل كردية مسلحة في سورية مصنفة على قوائم الإرهاب التركية، ومروراً بملف جماعة الخدمة وزعيمها «فتح الله كولن» المتهم بتنفيذ المحاولة الانقلابية الفاشلة، وليس انتهاءً بتقارب تركيا مع كل من إيران وروسيا بما في ذلك صفقة شراء منظومة «S400» الصاروخية من الأخيرة.

ولذا يمكن القول: إن العلاقات بين البلدين متأرجحة بين الانفراج والتصعيد بين الحين والآخر، لكنها دائماً قائمة على أرضية متوترة ومشدودة بفعل ما سبق ذكره من ملفات خلافية، ومردُّ كل ذلك إلى عدم وصول الطرفين لصيغة جديدة من العلاقة بعد انتهاء الحرب الباردة والمتغيرات في طرفي المعادلة، خصوصاً تركيا وما شهدته على مدى السنوات الـ١٥ الأخيرة داخلياً وخارجياً، وبما انعكس على إدراكها لذاتها وما تريده لنفسها من مكانة وأدوار.

في يوليو الماضي، وعلى خلفية محاكمة تركيا للقس الأمريكي «أندرو برونسون»، هدد «ترمب» بعقوبات اقتصادية على تركيا، ونفذ بعضاً منها؛ مثل رفع رسوم استيراد بعض البضائع، إضافة إلى عقوبات على وزيري الداخلية والعدل التركيين، وقد ردَّت أنقرة بالمثل في أزمة ثنائية ساهمت في أزمة مالية تركية تراجع فيها سعر صرف الليرة في مقابل العملات الأجنبية بشكل ملحوظ وغير مسبوق، قبل أن تعود العلاقات للهدوء إثر إطلاق إحدى المحاكم التركية سراح القس وعودته لبلاده.

الانسحاب والتردد

فجأة، وبعد أشهر من قرار مماثل، أعلن الرئيس الأمريكي عن نيته سحب قوات بلاده المتواجدة على الأراضي السورية قريباً وبشكل كامل؛ وهو ما أربك حسابات أنقرة التي كانت على وشك إطلاق عملية عسكرية ضد قوات سورية الديمقراطية شرق الفرات في سورية.

ثمة ثلاثة سياقات مهمة دعت أنقرة للإعلان عن تأجيل إطلاق العملية العسكرية على لسان «أردوغان»:

أولاً: ضبابية الموقف بعد قرار «ترمب»؛ فالقرار الجديد لا يختلف كثيراً عن سابقه، في ظل وجود إشارات كثيرة على عدم توافق المؤسسات الأمريكية، وخصوصاً البنتاجون، على قرار الانسحاب، ما يعني أنه قد ينفذ وقد لا ينفذ، وقد ينفذ جزئياً أو كلياً، سريعاً أو بشكل متدرج وهادئ.

ثانياً: تجنب أي احتكاك مع القوات الأمريكية وضمان انسحاب هادئ لا يتأثر ولا يتبدل بالعملية العسكرية التركية.

ثالثاً: الحسابات الدقيقة لملء الفراغ الأمريكي بعد الانسحاب، ما يفرض على أنقرة تنسيقاً مع كل من الولايات المتحدة من جهة وروسيا وإيران من جهة أخرى، لمنع أي صدام غير مرغوب فيه بالحد الأدنى وتنسيق الجهود والأهداف والتحركات بالحد الأعلى.

ورغم أن تركيا لم تكن يوماً سعيدة بالدور الأمريكي في سورية بعد أن تداخل وتماهى مع المشروع الانفصالي لحزب الاتحاد الديمقراطي، فإن قرار الانسحاب الأمريكي لم يكن كله خيراً لها، فلئن كان القرار يعني أن المشروع المذكور قد يُترك في مهب الريح، فإن الانسحاب الأمريكي -إذا نفذ- سيخل بالتوازنات في القضية السورية، التي كانت تركيا تستفيد منها في المناورة بين الولايات المتحدة وروسيا من جهة، فضلاً عن أن تخلي واشنطن عن قوات سورية الديمقراطية ليس أمراً مقطوعاً به بعد الاستثمار بهذه القوات وتسليحها وتدريبها لسنوات طويلة.

تهديد جديد

بعد تصريحين من وزير خارجيته «مايك بومبيو»، ومستشاره للأمن القومي «جون بولتون»، استفزا أنقرة وأثارا غضبها بخصوص الملف السوري والعملية التي تنوي أنقرة إطلاقها هناك بما في ذلك حديث «بومبيو» عن قتل تركيا للأكراد، و«بولتون» عن عدم انسحاب بلاده قبل ضمان أمن الأكراد، هددها «ترمب» في تغريدة له في الرابع عشر من يناير الماضي بـ«تدميرها اقتصادياً إن هاجمت الأكراد في سورية»، معززاً التقييمات التي رأت أن واشنطن لن تفرط بالفصائل الكردية المسلحة في سورية بسهولة.

لكن الساعات القليلة التي تلت هذا التهديد حملت انفراجاً مفاجئاً في العلاقات بين الطرفين، إذ حمل اتصال هاتفي بين الرئيسين «أردوغان»، و«ترمب» أخباراً

إيجابية حول تفاهم الرئيسين حول انسحاب القوات الأمريكية من سورية، وإنشاء منطقة آمنة في الشمال السوري.

المنطقة الآمنة، الفكرة التي طالما طرحتها تركيا وطالبت بها منذ عام ٢٠١٣م ووجهت بالرفض الأمريكي، أتت هذه المرة على لسان «ترمب» وحروف تغريداته، وقد أبدت أنقرة تجاوبها مع الفكرة ورحبت بها أولاً لاحتواء أزمة محتملة مع الولايات المتحدة لا تحتملها ظروف اقتصادها قبيل الانتخابات المحلية، وثانياً كفكرة مبدئية عامة بانتظار التفاصيل التي يكمن فيها الشيطان عادة.

منطلقات البلدين تجاه المنطقة الآمنة مختلفة جداً؛ فقد كانت تركيا تريدها لحماية المدنيين من قصف النظام في ظل احتدام المواجهة العسكرية والمجازر والتهجير بكثافة، وبحيث يمكن لاحقاً إعادة/عودة جزء مهم من النازحين واللاجئين إليها، وبما يحمي حدودها وأراضيها، أما الولايات المتحدة فيبدو أنها تريدها لحماية قوات سورية الديمقراطية من العملية العسكرية التركية المفترضة من باب إرضاء أنقرة وتقديم شيء لها يمكنها تقبله إذا ما سكّن هواجسها الأمنية.

الغطاء السياسي –لا سيما الدولي– مهم لتنفيذ الفكرة، وموقف كل من روسيا والنظام

دعم أمريكا للأكراد بسورية وإيواؤها لـ«كولن» وتقارب تركيا مع إيران وروسيا أبرز ملفات الخلاف بين أنقرة وواشنطن

إعلان «ترمب» سحب قواته من سورية أربك حسابات أنقرة التي كانت على وشك إطلاق عملية شرق الفرات

كذلك، والتفاصيل الفنية الكثيرة من مسافات ومساحات وبلدات وقرى وعمق مهمة كذلك، لكنها ليست ما يشغل بال أنقرة، أكثر ما يهم صانع القرار التركي هو هوية القوة/القوى التي ستسيطر على المنطقة الآمنة وتضبط الأمن فيها من جهة ومصير قوات سورية الديمقراطية وبالتحديد إخراجها من المنطقة من جهة أخرى.

ولذلك، فقد أكد الرئيس التركي أن بلاده هي الأحق والأجدر بإنشاء المنطقة الآمنة باعتبارها ستقع على حدودها ويفترض أن تحفظ أمنها، ونقلت وسائل إعلام تركية تفاصيل المنطقة الآمنة التي تريد أنقرة تأسيسها بطول ٤٦٠ كلم على طول الحدود السورية – التركية من نهر الساجور غرباً إلى مدينة المالكية شرقاً وبعمق ٢٠ ميلاً.

لكن، وبسبب الخلاف العميق في الرؤى تجاه المنطقة الآمنة ودورها بين تركيا والولايات المتحدة، وبسبب تبدل الموقف الأمريكي مرات ومرات وبشكل سريع جداً وما نتج عنه من فجوة ثقة من الصعب جسرها بين الجانبين، لا يمكن الجزم بإمكانية إقامة المنطقة الآمنة فضلاً عن توافق وتعاون الطرفين بخصوصها.

وقد ناقش اللقاء الذي جمع رئيسي أركان البلدين على هامش اجتماع رؤساء أركان الدول الأعضاء في «حلف الناتو» في ١٥ يناير الماضي التفاصيل الفنية الكثيرة المرتبطة بفكرة المنطقة الآمنة، لكن بلورة كل هذه التفاصيل لتصب في اتفاق يرضي أنقرة وواشنطن وباقي الأطراف في آنٍ معاً سيحتاج للكثير من الاجتماعات واللقاءات والحوار والتشاور، ليس فقط على محور أنقرة – واشنطن، وإنما كذلك على محور أنقرة – موسكو – طهران، وربما واشنطن – موسكو بشكل معلن أو غير معلن.

ولذلك، يمكن القول: إن «المنطقة الآمنة» المزمع إقامتها في الشمال السوري ما زالت فكرة عامة من حيث الأصل، ورغم ترحيب عدة أطراف بها، فإنها تمثل أمامها العديد من العقبات التي تجعل من المبكر جداً الحكم عليها بالنجاح، ما يضع علامات استفهام كثيرة إزاءها وإزاء الدورين الأمريكي والتركي في سورية والعلاقات الثنائية بين البلدين في المدى المنظور.■

عملية إرهابية بالمغرب.. خصوم الإسلاميين يعودون إلى أسطوانة المسؤولية المعنوية

شكلت جريمة قتل سائحتين أجنبيتين بطريقة وحشية بمنطقة سياحية في جبال الأطلس بالمغرب، في ديسمبر الماضي، مناسبة للحديث عن الإرهاب وأسبابه وتداعياته استمر لأسابيع، لكنها أيضاً كانت فرصة لخصوم إسلاميي المغرب من أجل مهاجمتهم ومحاولة لصق تهم التطرف بهم.

الرباط - عبدالغني بلوط:

أظهرت التحريات التي قامت بها الشرطة المغربية أن الجريمة الإرهابية التي ذهب ضحيتها شابة دنماركية، وأخرى نرويجية، قام بها أفراد بدون تخطيط مسبق أو تنسيق مع جهة خارجية، وبذلك صنفتها في خانة عمليات «الذئاب المنفردة».

وهذه هي المرة الأولى منذ سنوات التي يتم فيها اختراق الحاجز الأمني، وتنفيذ عملية بهذا الشكل، فقد استطاع الأمن المغربي في السنوات الأخيرة وضمن عمليات استباقية تفكيك عدد من الخلايا الإرهابية التي كانت تخطط لعمليات مماثلة.

ويرى د. خالد يايموت، أستاذ العلوم السياسية، في تصريح لـ«المجتمع»، أن عدة عوامل ساعدت هذه الشبكة الإرهابية على تنفيذ جريمتها وإحداث هذا الاختراق الأمني.

أولها؛ مكان الجريمة ذو الطبيعة الجبلية، في الوقت الذي ألفت الخلايا تنفيذ أعمالها الإرهابية داخل المدن، خاصة مراكش العاصمة السياحية، والدار البيضاء العاصمة الاقتصادية.

أما ثاني العوامل؛ فهو تدني المستوى التعليمي لمنفذي العملية، وأن تطرفهم وقع حديثاً وربما أسبوعاً واحداً قبل تنفيذ العملية، كما ذهبت إلى ذلك سفيرة المغرب لدى النرويج لمياء الراضي، في تصريح لقنوات إعلامية نرويجية؛ مما يعني أن عملية غسل أدمغتهم كانت سهلة.

كما أن المجرمين أو من يقف وراءهم استغلوا خلو سجلهم الإجرامي أو الإرهابي، للتخفي وتنفيذ جريمتهم.

ويخلص يايموت إلى أنه بالرغم من أن عملية جبال الأطلس تمثل اختراقاً للجهود المبذولة من المغرب لمكافحة الإرهاب؛ فإن التجربة المغربية تظل رائدة دولياً، فيما يخص المواجهة الاستباقية للشبكات والخلايا الإرهابية، على المستوى الوطني حيث فككت عشرات الخلايا، وخارجياً في أوروبا حيث كانت الأجهزة الأمنية المغربية طرفاً مركزياً في إحباط عمليات داخل الدول الأوروبية، كما ساهمت بشكل أساسي في إلقاء القبض على عناصر نفذت عمليات إرهابية في بلجيكا وفرنسا.

المسؤولية المعنوية

من جهة ثانية، وبالرغم من المعطيات التي كشفت عنها السلطات المغربية حول طبيعة منفذي العملية وبُعدهم التام عن الشأن العام، فإن الخصوم السياسيين لإسلاميي المغرب حاولوا إلصاق تهم التطرف والإرهاب بهم، وتحميلهم المسؤولية المعنوية على تطرف بعض الشباب، وإقدام أفراد على جريمة جبال الأطلس.

ويرى مراقبون أن هذه العودة المريبة إلى عزف أسطوانة «المسؤولية المعنوية»، وسم حزب العدالة والتنمية بالخطر على الديمقراطية والتعددية، أصبحت متجاوزة، فيما يرى قياديون في الحزب أنها تفتح الباب لرجوع خطاب استئصالي أكل عليه الدهر وشرب، انتعش عام ٢٠٠٣م مباشرة بعد الأحداث الإرهابية التي استهدفت مدينة الدار البيضاء.

وخرج حزب العدالة والتنمية ببيان يشدد فيه على أن الجريمة «لا تمت بأي صلة لمرجعياتنا وقيمنا وثقافتنا القائمة على الوسطية والاعتدال والتسامح والتعايش، ونبذ التطرف والعنف والإرهاب».

وأبرز أن هذا الحادث رغم خطورته يبقى «حادثاً معزولاً وناشزاً، ولن يمس بصورة بلادنا وبما تنعم به ولله الحمد من الاستقرار والأمن والثقة والجاذبية، كما لن يؤثر على مستوى العلاقات التي تجمع المغرب مع البلدين الصديقين النرويج والدنمارك».

ويقول المحلل السياسي حسن بويخف لـ«المجتمع»: إن تحميل ما سمي بـ«المسؤولية المعنوية» لحزب العدالة والتنمية عن هذه الجريمة الإرهابية يندرج في إطار التوظيف السياسي لكل صغيرة وكبيرة ضد الحزب من أجل إضعافه وابتزازه.

ويضيف أن مثل تلك الاتهامات يتم ترويجها من طرف بقايا الاستئصاليين الذين سبق لهم أن طالبوا بحل الحزب بعد أحداث الإرهاب بمدينة الدار البيضاء خلال عام ٢٠٠٣م بناء على نفس التهمة.

والواقع يبرز أن هؤلاء الاستئصاليين يمثلون فشل السلطوية في محاربة حزب المصباح، وعجزهم عن منازلته في ميدان السياسة بوسائلها النظيفة والديمقراطية، فيلجؤون إلى توظيف مثل تلك الأوراق التي بليت ولم يعد لها أي مفعول سوى التشويش على سمعة المغرب الذي يقود حزب المصباح حكومته اليوم.

محاربة الإرهاب

ويؤكد بويخف أن الإرهاب العابر للحدود الذي يهدد العالم اليوم لا علاقة له بالمجتمعات الإسلامية والفاعلين السياسيين والدينيين فيها، لأنه صنيعة دولية للتحكم في الخرائط الجيوسياسية لضمان مصالح القوى الكبرى لا غير.

ويرى د. خالد الشرقاوي السموني، مدير مركز الرباط للدراسات السياسية والإستراتيجية، أن هذه الجريمة لا علاقة لها بالإسلام؛ دين السلام والأمن والمحبة والتعايش مع الآخر.

ولم يتأثر المغرب بهذه الجريمة كثيراً على المستوى السياحي أو الاقتصادي، أو الرفع من مستوى الاحتقان الاجتماعي، حيث نبذها الجميع، ومرت دون أن تُحدث أثراً.

لكنّ أصواتاً ارتفعت تشدد على معرفة أسبابها الحقيقية ومعالجة أمرها من جذوره.

ويؤكد السموني أن هذه الجريمة تحتم على السلطات الأمنية البحث عن الطرق والسبل الناجعة والفعالة لمواجهة المخاطر الإرهابية مستقبلاً، وتكثيف الجهود لمحاصرتها في إطار العمل الاستخباراتي الاستباقي، والعمل على مراقبة كل الأنشطة المتطرفة التي تتم عن طريق وسائل التواصل الاجتماعي.■

مواقف وعبر تربوية من «طبقات الشافعية»

الإمام أحمد بن حنبل.. الصابرُ على المحنة

د. يوسف السند

الإمام أحمد بن حنبل، يرحمه الله تعالى، هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال ابن أسد بن إدريس..

هو الإمام الجليل أبوعبدالله الشيباني المَرْوَزِيّ، ثم البغدادي، صاحب المذهب، الصابرُ على المحنة، الناصر للسُّنة، مقتدَى الطائفة، ومن قال فيه الشافعي فيما رواه حرملة: خرجت من بغداد، وما خلّفت بها أفقهَ ولا أورعَ ولا أزهدَ ولا أعلَم من أحمد.

وُلد سنة أربع وستين ومائة ببغداد، جيء به من مَرْو حَمْلاً.

قال الخطيب: ولد أبوعبدالله ببغداد، ونشأ بها ومات، وطلب العلم، ثم رحل إلى الكوفة، ومكة، والمدينة، واليمن، والشام، والجزيرة.

قلت: وألّف مسنَده، وهو أصل من أصول هذه الأمة.

وقال المُزَنيّ: أبوبكر يوم الرِّدّة، وعمر يوم السقيفة، وعثمان يوم الدار، وعليّ يوم صِفّين، وأحمد يوم المحنة.

وقال عبدالله بن أحمد: سمعت أبا زُرْعة يقول: كان أبوك ألف ألف حديث، فقلت: وما يدريك؟ فقال: ذاكرته فأخذت عليه الأبواب..

وقال عبدالله: قال لي أبي: خذ أيّ كتاب شئت من كتب وكيع، فإن شئت أن تسألني عن الكلام، حتى أخبرك بالإسناد، وإن شئت بالإسناد، حتى أخبرك عن الكلام..

وقال إبراهيم الحربي: رأيت أحمد كأن الله جمع له علم الأولين والآخرين.

وقال عبدالرزاق: ما رأيت أفقهَ من أحمد بن حنبل ولا أروع.

وقال عبدالرحمن بن مهديّ: ما نظرت إلى أحمد بن حنبل إلا تذكّرت به سفيان الثوري.

وقال قتيبة: خير أهل زماننا ابن المبارك، ثم هذا الشاب، يعني أحمد بن حنبل.

وقال أيضاً: إذا رأيتَ الرجل يحب أحمد فاعلم أنه صاحب سُنّة.

وقال أيضاً، وقد قيل له: تضم أحمد إلى التابعين؟ فقال: إلى كبار التابعين.

وقال أيضاً: لولا الثوري لمات الورع، ولولا أحمد لأحدثوا في الدين.

وقال أيضاً: أحمد إمام الدنيا.

وقال أبو مُسْهِر، وقد قيل له: هل تعرف أحداً يحفظ على هذه الأمة أمر دينها؟ قال: لا أعلمه، إلا شابٌّ في ناحية المشرق؛ يعني أحمد بن حنبل.

وعن إسحاق: أحمد حجة بين الله وخلقه.

قال صاحب الطبقات: فهذا يسير من ثناء الأمة عليه، رضي الله عنه.

قلت: ومن شيوخه هُشَيم، وسفيان ابن عُيَيْنة، وإبراهيم بن سعد، وجرير بن عبدالحميد، ويحيى القطان، والوليد بن مسلم، وإسماعيل بن عُلَيّة، وعلي بن هاشم البريد، ومُعتمر بن سليمان.

توفي رحمه الله سنة إحدى وأربعين ومائتين، لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول.

فلما كان قبل وفاته بيوم أو يومين قال: ادعوا لي الصبيان؛ بلسان ثقيل، فجعلوا ينضمون إليه، فجعل يشمهم ويمسح على رؤوسهم، وعينه تدمع..

واشتدّت علته يوم الخميس، ووضّأته فقال: خلّل الأصابع، فلما كانت ليلة الجمعة ثقُل وقُبِض صدرَ النهار، فصاح الناس وعلت الأصوات حتى كأن الدنيا قد ارتجّت، وامتلأت السّكك والشوارع.

قال المَرْوَزِيّ: أُخرجت الناس بعد مُنصرَف الناس من الجمعة.

قلت: وقيل: عدد المصلين عليه كثير، قيل: كانوا ألف ألف وثلاثمائة ألف، سوى من كان في السفن في الماء[1].

رحم الله الإمام أحمد العالم المبجّل والإمام الصابر المحتسب والمربي الكبير.

العبر والفوائد التربوية:

- الأمة بخير ما أفادت من علمائها.
- العلم يأتي بعد الصبر والمصابرة، فمن صبر فقد ظفر.
- الفضلاء الكرماء يشهد بعضهم لبعض بكل اعتدال وإنصاف وتجرد.
- اهتمام أحمد بالنشء إلى آخر رمق من حياته؛ فهم الجيل الذي سوف يقود أمة الإسلام.
- كثرة الشيوخ دليل غزارة العلم وتنوعه وامتلاء وقت العالم بالسعي والطلب والتحمل.
- من كانت بدايته محرقة كانت نهايته مشرقة، وهذا واضح في حسن خاتمة الإمام أحمد رحمه الله.■

الهامش

(١) تاج الدين السبكي- طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبدالفتاح محمد الحلو، ومحمود محمد الطناحي، الجزء الثاني.

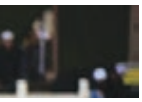

«فورين بوليسي»: مسلمو الصين يستع

في مناسبة حديثة أقامتها «جمعية آسيا» بنيويورك لمناقشة مأساة مليون أو أكثر، معظمهم من مسلمي الأويجور، محتجزين في معسكرات للاعتقال بمنطقة شينجيانج غربي الصين على يد السلطات الصينية، اتصل بي شاب من أصول صينية وسألني سؤالاً مثيراً للقلق: «أنا من الهوي -مشيراً إلى أكبر أقلية مسلمة في الصين- ومن بين أفراد مجموعة صينية تشعر بقلق بالغ من أن الدور سيأتي عليهم ليحدث لهم ما يحدث للأويجور، وهناك بالفعل مجموعات تسمى «مناهضة حلال» (anti-halal) تهاجمنا وتكسر نوافذ مطاعمنا.. من وجهة نظرك، ماذا يمكن أن يحدث؟».

بقلم: جيمس بالمر (*)
ترجمة: جمال خطاب

الأخبار عن «الهوي»، وغيرهم من المسلمين الصينيين، ليست جيدة؛ ففي أواسط ديسمبر الماضي، أزالت عدة مقاطعات «الحلال» من معاييرها الغذائية، وهي خطوة أعلنها المسؤولون الحكوميون على أنها محاربة الاتجاه الخيالي لـ«الحلال»، لمقاومة نشر النفوذ الإسلامي في الحياة العلمانية، وهذا تناقض حاد مع السياسات الحكومية السابقة، التي شجعت بنشاط على تطوير التجارة الحلال من أجل التصدير، وفي هذه الأثناء، تم إغلاق ثلاثة مساجد بارزة؛ مما أثار الاحتجاجات، وقد تم إغلاق العديد من المساجد في جميع أنحاء البلاد، وأجبرت على إعادة تشكيل نمط غير إسلامي، وتم تعزيز وجود الحزب الشيوعي هناك، مع وضع صور «شي جين بينج» (الرئيس الصيني) في مواقع بارزة وتغطية الجدران بالشعارات الماركسية.

أكثر من ١٠٠٠ عام

هناك أكثر من ٢٠ مليون مسلم في الصين (١٠ ملايين من أصل ٥٥ من الأقليات المعترف بها رسمياً في البلاد مسلمون تقليديون، وأكبر هذه الأقليات الهوي والأويجور)، وتاريخ الإسلام في الصين يزيد على ألف عام، وقد وقعت مواجهات سابقة -كما هي الحال مع الأديان الأخرى- بين السلطات الإمبريالية وأصحاب الأديان، وعلى الأخص ثورات «دنجان» في القرن التاسع عشر، وتعد مأكولات الأقلية المسلمة شائعة ورخيصة وشعبية في جميع أنحاء البلاد، وهذه المطاعم عادة ما تتميز بالكتابة العربية وصور المساجد الشهيرة على الجدران، ولكن مع ازدياد ظاهرة كراهية الإسلام في السنوات الأربع الأخيرة، تقوم المطاعم بإزالة أي مظهر له طابع إسلامي.

والحق أن الإسلام ليس هو الدين الوحيد المستهدف؛ فالدولة الصينية تقوم بمراقبة جميع العقائد، وكانت هذه الرقابة تتم من خلال إدارة الدولة للشؤون الدينية (State Administration of Religious Affairs) (SARA)، لكن هذه الإدارة تم حلها في مارس العام الماضي، وقام قسم جبهة العمل المتحدة (United Front Work Department) (UFWD) بتولي مسؤولية الدين مباشرة، ويعمل على سيطرة الحزب الشيوعي على الحياة المدنية المحلية للمجتمع، ويعني حل «SARA» نهاية العديد من علاقات العمل بين الإدارة والجماعات الدينية، وغادر معظم الموظفين السابقين.

تاريخ الإسلام بالصين يزيد على ألف عام وهناك أكثر من ٢٠ مليون مسلم

ورغم أن «وانج تسوهان»، رئيس الرابطة الذي عرف منذ فترة طويلة بخفة وطأته نسبياً، واحد من ١٠ نواب ووزراء في الاتحاد، فإنه لا يملك أي موظفين تقريباً، وليست لديه قوة ولا دور.

لقد كانت «SARA» حاجزاً مهماً للغاية بين الممارسات الشرعية والاحتياجات وأعمال الديانات ومطالب الحزب، والآن تم تحويلها إلى أداة تحكم علني وصريح، وكانت تمكن الدين من أن يعمل بشكل جيد، ويقول أحد الغربيين (يتمتع بخبرة طويلة في العمل مع المنظمات غير الحكومية الدينية في الصين، طلب عدم ذكر اسمه): «إنهم الآن موجودون لجعل الدين يعمل لصالح الحزب»، وفي غضون ذلك، اضطر المسؤولون المحليون، تحت ضغط بيئة حزبية داخلية عالية التوتر، إلى التخلي عن سياسات التسامح المحلي لصالح فرض تطبيق صارم.

وعلى الأرض، تُرجم ذلك إلى بيئة أكثر برودة لأصحاب الأديان، وقد واجه المسيحيون في جميع أنحاء البلاد موجة من القمع، باعتقالات وقعت لوزراء بارزين، وإغلاق الكنائس، وفرض حظر على مبيعات الكتاب المقدس على الإنترنت، وإزالة الصلبان، حتى البوذية التبتية تتم مراقبتها عن كثب، وتخضع لمراقبة أكثر من أي وقت مضى، وحتى الديانات الصينية المزعومة؛ مثل الطاوية والبوذية غير التبتية، تمر بوقت عصيب، حيث تم حرمانها من الحصول على إذن للمباني أو الفصول الجديدة والذهاب إلى طبقات من البيروقراطية الإضافية.

لكن الانقلاب على الإسلام هو المثال الأبرز -وربما الأكثر شراسة- على حملة الصين القمعية على الدين، وهو في جزء كبير ينطلق من إقرار نظام حكم شمولي في شينجيانج؛ حيث يتم الآن قراءة أي ممارسة إسلامية من قبل الدولة الأمنية كدليل على التطرف المحتمل، وفي الماضي كانت مجتمعات مسلمة أخرى قادرة في السابق على تحمل العاصفة جزئياً؛ لأن أفرادها من

ـــــــدون لمزيد من الانتهاكات

بدؤوا بالأويجور والآن تتعرض الأقليات المسلمة الأخرى للتهديد الذي ربما يكون أسوأ

المسيحيون بجميع أنحاء البلاد واجهوا موجة من القمع باعتقالات لوزراء بارزين وإغلاق الكنائس

شدة الحملة المناهضة للإسلام بشينجيانج أدت لتبني مسؤولين مسلمين للأفكار المناهضة للإسلام خشية اتهامها بالتعاطف مع المسلمين

الأويجور أُجبروا على العودة إلى شينجيانج، حتى إن دعاة السلفية على الطريقة السعودية كانوا قادرين على العمل في نينجشيا وأماكن أخرى.

«إسلاموفوبيا» التعاطف

ومع ذلك، فإن شدة الحملة المناهضة للإسلام في شينجيانج أدت اليوم إلى تبني مقاطعات أخرى للأفكار نفسها، خشية اتهام قادتها باللين مع الإرهاب أو بالتعاطف الأيديولوجي مع الإسلام، هذا هو حال مسؤولي الحزب خصوصاً الذين ينتمون إلى عائلات إسلامية، وقد تم القبض على العديد من المسؤولين الأويجور بسبب كونهم ذوي «وجهين» -يمثلون أنفسهم كأعضاء مخلصين للحزب بينما هم متعاطفون سراً مع الدين- «وقد كانوا يطلبون المساعدة من مسؤولي الهوي في التعامل مع شؤون الهوي بحرص، ولكن الآن، إذا كنت من الهوي، عليك أن تكون أكثر شدة على شعبك»، هذا ما قاله موظف صيني من الهان يعمل في المناطق الإسلامية لـ«فورين بوليسي».

وقد أدى انتشار «الإسلاموفوبيا» لتدعيم حملة الدولة الصينية التي اندلعت في السنوات الأربع الماضية، ودائماً ما كانت هناك عنصرية ضد الأويجور، لكنها كانت تركز في السابق على العرق وليس على المعتقدات، وقد بدأت الكراهية الجديدة إلى حد كبير بالهجوم الإرهابي على محطة قطار في مدينة كون مينج الجنوبية في عام ٢٠١٤م، عندما قتل ٨ مهاجمين من الأويجور ٣١ راكباً، وأصبحت شوفينية وغلو أغلبية إثنية الهان القومية الصينية العدوانية هي القاعدة على الإنترنت، وقد ساعد، ربما، على كونه واحداً من الأشكال القليلة المتبقية من الخطاب السياسي العام المسموح به، والعديد من الأصدقاء والزملاء الصينيين، حتى الأصوليين الليبراليين نسبياً، شعروا بالغضب من أي ذكر للإسلام، واعتبروا الغربيين مناهضين للصين ومتحيزين لصالح الإسلام، في حين أن الخطابات الأخرى على الإنترنت قد تم إغلاقها بقسوة، إلا أن الرقباء بالكاد قد لمسوا إساءة معاملة المسلمين، لدرجة الدعوة إلى العنف.

وقد تصورت «الإسلاموفوبيا» الصينية حركة «حلال» أسطورية، تعمل في خيالهم كما تفعل «الشريعة» في أذهان المشرعين الأمريكيين الريفيين الذين يخشون أن يبدأ رجال الدين بالسير في الشارع الرئيس، وغالباً ما كان الطعام نقطة تعارض، وكثيراً ما يتجنب الشباب الأويجور الأكل في المطاعم غير المألوفة، ليس لأسباب دينية بل كإشارة للتحدي الثقافي، وأصبح الاستهلاك القسري للحم الخنزير الآن روتينياً في شينجيانج، لكن عقول «الإسلاموفوبيا» الصينية تصور لهم أن المسلمين هم الذين يفرضون أنفسهم على الصينيين العاديين الجيدين، ويتم اعتبار مجرد تقديم الخدمات «الحلال» كعلامة على تهديد وشيك؛ ولذلك واجه المسلمون موجة من الكراهية على الإنترنت.

ويتم تجميع العديد من المخاوف معاً هنا؛ فالصينيون قلقون للغاية بشأن سلامة الأغذية، ويتم وصف الطعام الحلال باسم «تشينج تشن» -الذي يعني فقط «إسلامي»، ولكنه يترجم حرفياً على أنه «نقي ونظيف»- وهذا يخلق اعتقاداً بأن المستهلكين للحلال كانوا محظوظين إلى حد ما، أو يدّعون أن الهان وهم الأغلبية قذرون، ويرتبط ذلك باعتقاد عميق بين الصينيين الهان أن الأقليات العرقية تتمتع بمعاملة خاصة، تستند إلى سياسات حكومية تمنحهم نقاطاً إضافية في امتحانات الالتحاق بالجامعة، أو تسمح بتخطيط أسري أكثر تساهلاً (كما هي الحال مع التمييز الإيجابي في الولايات المتحدة، وقد كانت تلك سياسات حقيقية، لكن التمييز اليومي الذي يواجهه المواطنون الصينيون من غير الهان، على النقيض من ذلك، وقد كان غير مرئي إلى حد كبير للهان) من خلال أخبار مزيفة عن فظائع المسلمين ولّدها العنصريون في الغرب، انتشرت بقوة عبر وسائل الإعلام الاجتماعية في المجتمع الصيني.■

(*) محرر الشؤون الآسيوية بـ«فورين بوليسي»

دعا الشيخ محمد إسماعيل، أمين عام مجلس الأئمة والدعاة والعلماء في بريطانيا، والمستشار التربوي والمرشد الديني في جامعة شيفيلد، شبابَ المسلمين إلى الدخول في عالم السياسة، حتى يتمكنوا من توصيل آرائهم واحتياجاتهم بشكل أسرع، ولأن ذلك يوسع من مكاسب المسلمين بشكل عام. وأكد الشيخ إسماعيل، في حواره مع «المجتمع»، أن المسلمين تقلدوا مناصب عديدة في الدولة، على مستوى الإدارات الوسطى والعليا، والمحافظات والوزارات، وأنهم حازوا على ثقة الملكة والدولة بشكل كبير جداً؛ «فلا تكاد ترى مؤسسة في البلاد إلا وفيها مسلمون، فتجدهم يعملون في السياسة وفي الجيش والأمن والصحة.. وغير ذلك»، حسب قوله.

خاص - «المجتمع»:

أمين عام الأئمة والدعاة والعلماء ببريطانيا محمد إسماعيل لـ«المجتمع»:

ولوج مسلمي بريطانيا عالم السياسة يوسع مكاسبهم

● هل ترى أن أوضاع المسلمين مستقرة في بريطانيا؟

- وصل المسلمون في بريطانيا -بحمد الله- إلى الجيل الرابع، وبدأنا مرحلة الاستقرار الاجتماعي بعد معاناة طويلة عاشها الأجداد، وأخذ الاندماج وضعه الطبيعي، وتساوى الجميع في تلقي الخدمات والفرص والمعاملة، وتصدر مسلمو بريطانيا حملات رفض التطرف والإرهاب، وأجمعوا على أن بريطانيا بلدهم، وهم يخدمونها ويحمونها، ويشاركون في كل مجالات الحياة من مختلف الخلفيات والعرقيات والمذاهب، معتمدين أصول المحبة والاحترام للجميع، ورفض مبادئ الكراهية والعنصرية، وهذه هي مبادئ الإنسانية التي تعتمدها بريطانيا.

وتحسن الدولة المعاملة مع المسلمين، ويكفي أنها استضافتهم منذ سنوات عدة وما زالت، وتكفل لهم حرية التعبير، ويعامَلون كمواطنين بشكل رسمي.

وتقلد المسلمون مناصب عديدة في الدولة، على مستوى الإدارات الوسطى والعليا، والمحافظات والوزارات، وحازوا على ثقة الملكة والدولة بشكل كبير جداً؛ فلا تكاد ترى مؤسسة في البلاد إلا وفيها مسلمون، فتجدهم يعملون في السياسة وفي الجيش والأمن والصحة.. وغير ذلك.

وقد هيأت لهم الدولة سبل العبادة، فلا تجد مرفقاً كبيراً إلا وفيه مصلى، بدءاً من المطار، ومروراً بالمستشفيات والجامعات وبعض الدوائر الرسمية والأسواق الكبيرة.

المسلمون تقلدوا مناصب عديدة على مستويات مختلفة وحازوا على ثقة الملكة والدولة

.. وهم متمسكون برسالة الأمن والخير وقاطعوا كل من يريد الفتنة والشر

ووفرت أئمة في معسكرات الجيش، وسمحت ببناء المراكز الإسلامية والمصليات والمساجد، لدرجة أن الأذان يُرفع خارج المسجد في بعض مناطق المسلمين بعد موافقة البلدية.

كما تراعي الدولة المسلمين في شهر رمضان المبارك، وتحترم مشاعرهم، وتقدر ظروفهم، وكذلك في العيدين.

وقد أثبت مسلمو بريطانيا -بحمد الله- أنهم متمسكون برسالة الأمن والخير، وقاطعوا وطردوا كل من يريد الفتنة والشر والانشقاق في المجتمع، وهم قلة قليلة لا تُذكر مقارنة بأعداد وإنجازات المسلمين في بريطانيا.

ونتيجة لهذه المظاهر الجميلة من المسلمين، والأخلاق الطيبة والوفاء الإسلامي والتزام العهود والأمانة، فقد غرست محبة المسلمين في قلوب عامة الناس، وصار الإسلام أكثر قبولاً من غيره، وتسمى مدينة شيفيلد -التي أقطنها-

«عاصمة المسلمين الجدد» لكثرة الداخلين في الإسلام فيها، حيث يقدر عددهم بـ١٠٪ من السكان.

● هل ساعدت طبيعة عملك في خدمة الدعوة والمسلمين؟

– أحمد الله الذي وفقني لخدمة دينه، وخدمة المسلمين والإنسانية، ولولا توفيق الله لما كنت في هذا المكان وهذه المناصب الخدمية والشرفية، وأحمد الله أن أسلم على يدي عدد كبير من الشباب الأوروبيين، منهم الطلبة والأصدقاء والزملاء ومسؤولون ومن عامة الناس.

وساهم عملي كإمام ومسؤول عن مركز إسلامي في خدمة الناس بمختلف أطيافهم، وتقديم المحاضرات الشرعية، والدعوة إلى الإسلام، إضافة لعضويتي في أكثر من جمعية خيرية.

● هل لكم دور في تقريب وجهات النظر بين المسؤولين والمسلمين؟

– نعم، فلطبيعة مهنتي كأستاذ جامعي ومستشار في الأمن وموظف في حماية الأولاد ومفتش في المدارس والعمل مع الجاليات المختلفة، إضافة إلى عملي كإمام وخطيب، تعززت ثقة المسؤولين بي، وساهمت بتقريب وجهات النظر بين المسؤولين والمسلمين، وشاركت –بطلب منهم– بحل العديد من المشكلات التي تحصل مع المسلمين.

وأقمنا العديد من الملتقيات وورش العمل لتقريب وجهات النظر، وشرح الفكر الإسلامي من ناحية دينية وعقدية، وتبيان شعائر الإسلام، وتقديم صورة الإسلام الصحيحة، وسعينا لإقامة علاقة وثيقة بين المسلمين ومؤسسات الدولة، ونتعامل معهم بكل شفافية ووضوح وصدق.. كل ذلك ساهم في إيجاد تفاهم صحيح انتفع به المسلمون.

ولا أبالغ إن قلت: إن المسؤولين البريطانيين –وبالأخص الأمن والبلدية– يشكروننا دوماً عند افتتاح أي مسجد مهما صغر، وأينما كان مكانه؛ حيث تقل المشكلات، ويرتفع مستوى الأمن، خصوصاً إذا كان مكان المسجد «باراً» سابقاً، كما أن المسجد يوفر أنشطة مفيدة للشباب تشغل وقت فراغهم بما هو مفيد، لذا تجدهم يحرصون على حضور حفل الافتتاح.

● ألا ترى أن المسلمين لم يعطوا التعليم حقه تجاه أولادهم؟

– لدينا ما يقارب ١٧٠ مدرسة للمسلمين مسجلة لدى الدوائر الرسمية، معتمدة ومعترف بها، وهي تنفذ المناهج الرسمية بشكلها العام، مع إضافة لمسات قيمية وأخلاقية وتربوية ودينية، تميز المناهج الإسلامية، وهناك ٣٠ معهداً عالياً لتدريب الأئمة والدعاة، وأقامت الحكومة لجنة خاصة لمقارنة المناهج وتقييمها بشكل دوري، وللتعاون بين هذه المعاهد والجامعات الرسمية، وأنا عضو في هذه اللجنة.

وهناك آلاف المدارس القرآنية المسائية تعمل طوال الأسبوع، إضافة لنهار يومي السبت والأحد، ومعظم أبناء المسلمين يحضرونها؛ ليدرسوا فيها القرآن الكريم واللغة العربية والتربية الإسلامية، وتعد هذه المدارس العمود الفقري لحماية شخصية أولاد المسلمين، لكن مع الأسف الشديد ليس لها مناهج مناسبة، وتفتقد الدعم المالي.

وهناك حاجة ملحة لتدريب المعلمين والمعلمات وتأهيلهم للعمل في المدارس النظامية لتقديم الجوانب المصاحبة للمناهج المدرسية، كالتربية والقيم والأخلاق، إضافة إلى تعليم القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، حيث يوجد قصور كبير في هذا الاتجاه، مع وجود بوادر قليلة من بعض المدارس التي اهتمت بذلك.

وكل هذه المشاريع (المدارس وحلقات القرآن وتدريب المعلمين) تحتاج دعماً مالياً مستمراً حتى لا يتوقف العمل.

● بمَ تنصح الشباب المسلم في بريطانيا؟

– يجب على شباب المسلمين الدخول في عالم السياسة، فهذا سيختصر وصول الآراء والاحتياجات بشكل أسرع، ويوسع من مكاسب المسلمين بشكل عام.

وأدعوهم لإعمال العقل وعدم الشطط، وتجنب التطرف، والتمسك بالوسطية، والاندماج مع المجتمع، وخدمة الناس، والمبادرة بالأعمال التطوعية، ودخول لجان المساجد، والحذر من الوقوع في خلافات مع المسلمين في القضايا الشرعية، وعدم التفرقة أو التكفير، واحترام الجاليات والأديان والمذاهب الأخرى، وتقديم خدمات لمؤسسات الدولة، وتذكروا أن المسلمين يوفون بعهدهم إذا عاهدوا.

● هل من كلمة أخيرة؟

– في الختام أتقدم بالشكر الجزيل لدولة الكويت على ما تقدمه من مساعدات في كل مكان بالعالم من دعم وعطاء، تنوع في مجالاته الإغاثية والإستراتيجية والنوعية، ولا غرابة أن يكون سمو أمير دولة الكويت الشيخ صباح الأحمد قائداً إنسانياً، والكويت مركزاً إنسانياً عالمياً، فلسموه كل الشكر والتقدير، ولحكومة الكويت الشكر لاهتمامها بدعم المشاريع الخيرية.

وأشكر د. خالد المذكور، رئيس جمعية الإصلاح الاجتماعي بالكويت، على تفضله لزيارتنا أكثر من مرة، وإلقاء الخطب والدروس والمحاضرات، والشكر موصول إلى د. مطلق القراوي، وكيل العلاقات الخارجية بوزارة الأوقاف الكويتية سابقاً، الذي ساعد بعض المراكز بتوفير الدعم وتقديم التعاون المتواصل للمسلمين ببريطانيا في مشاريع مختلفة.■

لدينا ١٧٠ مدرسة مسجلة لدى الدوائر الرسمية و٣٠ معهداً لتدريب الأئمة والدعاة وآلاف المدارس القرآنية

الشيخ محمد إسماعيل.. في سطور

- حاصل على بكالوريوس في علوم القرآن، وعلى السند في حفظ القرآن الكريم.
- الأمين العام لمجلس الأئمة والدعاة والعلماء في بريطانيا.
- مستشار تربوي ومرشد ديني في جامعة شيفيلد.
- عضو في معهد شيفيلد للدراسات الدينية متعدد التخصصات، وإمام وخطيب متطوع في مسجد أبو هريرة التابع لدار الرعاية، وأحد ممثلي ملكة بريطانيا في المناسبات الاحتفالية في جنوب يوركشاير.
- عضو في المجلس الأوروبي للمسلمين.■

المعلمة المقدسية خديجة خويص لـ«المجتمع»:

«الأقصى» جزء من عقيدتي أفديه بكل ما أملك

أكدت المعلمة المقدسية المُبعدة عن المسجد الأقصى خديجة خويص (أم أحمد) أن الرباط في المسجد الأقصى المبارك لم يكن يوماً مانعاً من أداء وظيفتها كأم ومعلمة وواجباتها تجاه زوجها وأبنائها.

وأشادت خويص الملقبة بـ«أم الأقصى»، في حوار مع «المجتمع»، بدعم دولة الكويت للقضية الفلسطينية، ودعت الكويت؛ حكومة وشعباً، التي لطالما أثلجت صدورنا بمواقفها المشرفة تجاه القدس والمسجد الأقصى بأن تثبت على مواقفها في رفض «التطبيع» بجميع أشكاله، ومواصلة دعم الشعب الفلسطيني بكل الطرق الممكنة والمتاحة والمتمثلة في تعزيز ثبات وصمود المقدسيين على أرضهم.

حوار: سعد النشوان - سيف الدين باكير:

● **بداية، نريد تعريف خديجة خويص للقرّاء.**

– خديجة خويص هي بنت الأقصى، وأم الأقصى، وهي أم الرجال وبنت الرجال وأخت الرجال، أنا امرأة مقدسية متزوجة، وعندي خمسة أبناء، وأكملت مرحلة الماجستير في التفسير من جامعة الخليل، وزوجي أستاذ ومحاضر في جامعة القدس، كانت دراستي الابتدائية والثانوية داخل المسجد الأقصى، وهذا ساهم في تشكيل شخصيتي، وجعلني أكثر التصاقاً وارتباطاً بالقدس وبقضية المسجد الأقصى المبارك.

● **كيف تفسرين كثرة اقتحامات الاحتلال للمسجد الأقصى في الآونة الأخيرة؟**

– الاقتحامات في حدة وازدياد منذ عام ٢٠٠٠م، ولكن في عام ٢٠١٨م ربما زادت الاقتحامات والانتهاكات، بناء على قرار الرئيس الأمريكي «دونالد ترمب» باعتبار القدس عاصمة للكيان الغاصب، هذا القرار جعل سلطات الاحتلال أكثر جرأة على مزيد من الاقتحامات والانتهاكات، ومزيد من التصعيد في كل المدينة المقدسة على جميع الأصعدة، ولكنها كانت تسابق الزمن وتحاول فرض واقع جديد في المسجد الأقصى المبارك يتمثل في الاستيلاء على المنطقة الشرقية.

● **ماذا تعني كلمة «مرابطة»؟**

– الرباط في المسجد الأقصى لم يكن يوماً مانعاً من أداء وظيفتي كأم ومعلمة وواجباتي تجاه زوجي وأبنائي، وهو عبادة دينية نتقرب بها إلى الله سبحانه وتعالى بالتواجد على ثغرات تحتاجنا حتى لا ينفذ عدو الله إلى حياض المسلمين من هذه المنافذ، والرباط في المسجد الأقصى له معنى أدق، وهو التواجد بالمسجد الأقصى في الفترات التي تكون فيها الاقتحامات، فالتواجد من باب تكثير سواد المسلمين بالمسجد الأقصى أمام أفواج المقتحمين.

وكلمة «مرابط» في عُرف الكيان الغاصب معناه «الخارج على القانون»، ومن يقول على نفسه: إنه مرابط؛ معنى ذلك أنه يعترف أنه خارج على القانون، وأنه ينضوي ضمن تنظيم إرهابي؛ وبالتالي يتعرض للمحاكمة.

● **تمتلك النساء الفلسطينيات جرأة وشجاعة في مواجهة سلطات الاحتلال، ما سبب ذلك؟**

– نحن نساء في بيوتنا، رجال خارجها، كما قالت زوجة هارون الرشيد رحمهما الله،

هذه الرجولة التي اكتسبناها من الظروف التي وُضعنا فيها، فالذي دفعني وجعل مني هذه المرابطة العنيدة هو حاجة الأقصى للرجولة، وكون الأقصى جزءاً من عقيدتي أفديه بروحي ودمي وأبنائي وبكل ما أملك.

● كيف تقضين أيامك وأنت مبعدة عن المسجد الأقصى؟

– الفترة التي نقضيها في المسجد لا تساوي شيئاً أمام الفترة التي نُبعد فيها عنه، وأنا حالياً مُبعدة حتى ٢٠١٩/٢/٢٢م، حيث أُبعدت دفعة واحدة لمدة ٦ أشهر، أُبعدت من المسجد الأقصى ومن الممرات المؤدية إليه، وهناك بعض النساء مبعدات لفترات معينة، ويُسمح لهن بالدخول بعد صلاة العصر، فأسماؤهن مسجلة على أبواب المسجد الأقصى ضمن قائمة أطلق عليها الاحتلال القائمة السوداء، وشملت أسماء أكثر من ٥٠ امرأة، وكذلك بعض الرجال، حيث يُمنع دخولهم وقت الاقتحامات، وهناك أكثر من ٢٠ شاباً مبعدون عن المسجد الأقصى.

● هل تعرضت للاعتقال؟

– نعم تعرضت للاعتقال أكثر من ١٦ مرة، وكان يتم عن طريق مداهمة البيت، أو استدعاء للتحقيق، وبعدها يتم الاحتجاز.

● هناك يهود متضامنون مع القضية الفلسطينية ضد الاحتلال، هل هذا صحيح؟

– اليهود المعترضون على المشروع الصهيوني لا يأتون إلى فلسطين، فجماعة «ناتور كارتر» موجودة خارج فلسطين، وهي بالتحديد في بريطانيا، قامت بتمزيق جواز سفرها «الإسرائيلي»، وبالتالي تقول: إنها ليست لها الحق بالتواجد في هذه الأرض التي يزعم اليهود بأنها أرضهم، وأرض الميعاد، بينما اليهودي مهما كان طيفه وفكره وتوجهه حتى ولو كان من منظمات السلام مثل حركة «السلام الآن» فهو يهودي، فأي يهودي موجود في فلسطين فهو محتل، بصرف النظر عن فكره وتوجهاته، والمتضامن الحقيقي والمحب للسلام عليه أن يرحل من بلادنا إلى المكان الذي جاء منه ويعلن اعتراضه على الاحتلال.

زيارة فلسطين لغير الفلسطينيين مبنية على مسألة المصلحة والمفسدة ودرأ المفاسد أولى من جلب المصالح

الوصاية الأردنية أصبحت شبه شكلية لأن الأردن ولا غيره لا يملكون حولاً ولا قوة للتصدي لما يقوم به الاحتلال

● ما رأيكم في زيارة غير الفلسطينيين للأقصى؟

– نحن نرفض زيارة المسلمين من العرب وغيرهم للقدس والمسجد الأقصى؛ لأن الفتوى تنص على ذلك، والمفسدة المترتبة على الزيارة أكبر من المصلحة.

نقطة النظام لدينا هي الفتوى، وندور معها حيث دارت، والفتوى فيما يختص زيارة فلسطين لغير الفلسطينيين مبنية على مسألة المصلحة والمفسدة، ودرأ المفاسد أولى من جلب المصالح، ونحن ننظر في الموضوع، إذا كانت مصالحه المتحققة والمترتبة أعلى من المفاسد علينا أن نتبع المصلحة، أما إذا كانت المفاسد أكثر من المصلحة أو أن المفسدة الواقعة ترجح على تحقيق المصلحة، أياً كانت، فهنا علينا أن ندرأ هذه المفسدة.

● كيف يدعمكم المسلمون؟

– الحاجة أم الاختراع، من يريد أن يخدم سيجد طرقاً أخرى، فالسيدة ميمونة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله، أفتنا في بيت المقدس؟ فقال النبي ﷺ: «ائتوه فصلوا فيه»، فقالت: يا رسول الله، أرأيت من لم يطق أن يتحمل إليه؟ قال: «فليهد زيتاً يسرج في قناديله»، فإهداء الزيت يساوي الصلاة فيه، وإهداء الزيت لا يقتصر على عمارة المسجد الأقصى، ولا يقتصر على دعمه بالسجاد وتوفير الأسرجة، إنما كل مكان يُخدم منه المسجد الأقصى يجب أن ندعمه ونساعده، لأن دعم المقدسيين يصب بالنهاية في دعم وحماية المسجد الأقصى مما يحاك له من قبل المحتل الغاصب.

● ما المقصود بـ«مصاطب» الأقصى؟

– في عام ٢٠١٠م وبعده، قامت الحركة الإسلامية في الداخل الفلسطيني بقيادة الشيخ رائد صلاح، حفظه الله وفك أسره، بابتكار فكرة إعادة الدور الريادي للمسجد الأقصى، بإحياء الدور التعليمي، وعلى الأخص بإيجاد ما يسمى حلقات العلم أو مصاطب العلم في المسجد الأقصى، التي تكون عبارة عن مصاطب علم في الساحات وليس في المصليات المسقوفة، حتى نرسخ في أذهان الناس أن الأقصى هو كل السور، وأن الأقصى هو ١٤٤ دونماً، وقد وصل عدد المشتركين فيها إلى ١٥٠٠ طالب وطالبة، والمصاطب هي حلقات علم تقوم بتدريس التفسير والسيرة والتجويد وحفظ القرآن الكريم والتربية وخدمة المجتمع.

وحينما ازداد العدد، وصار للمعلمات تأثير كبير، ومنهن خديجة خويص، وهنادي

الرباط عبادة دينية نتقرب بها إلى الله بالتواجد على ثغرات تحتاجنا

أي يهودي موجود في فلسطين فهو محتل بصرف النظر عن فكره

الحلواني، وأصبحت المصاطب عبارة عن صد للاقتحامات؛ فقامت سلطات الاحتلال بحظر مصاطب العلم، حيث قررت في البداية إغلاقها وحظرها، ثم حظر الحركة الإسلامية في الداخل الفلسطيني وبالتالي أي نشاط كانت تقوم به الحركة.

● **الأوقاف الأردنية وصية على الأقصى، هل تقوم بعملها كما يراد أم هناك بعض التفاهمات مع الاحتلال؟**

– نحن لا نرضى أن تكون السيادة على المسجد الأقصى لغير المملكة الأردنية الهاشمية، لكن سلطات الاحتلال هي التي تتحكم في فتح أبواب المسجد الأقصى، وإغلاقه، وهي التي تتحكم بعمل الحراسة، فالوصاية الأردنية أصبحت شبه شكلية، لأن الأردن ولا غيره لا يملكون حولاً ولا قوة للتصدي بما تقوم به سلطات الاحتلال.

وقام الاحتلال الصهيوني بتحجيم دور الحراس، فالحارس التابع للمملكة الأردنية فقط دوره يقف على الأبواب، وممنوع عليه أن يقف عند الاقتحام أقل من ٣٠ متراً، ولا يستطيع أن يمنع مستوطناً عن الاقتحام.

ومنظومة الأوقاف الموجودة في القدس والتابعة للمملكة الأردنية غير مرضي عنها تماماً للمقدسيين، لأنها لا تقوم بواجبها كما ينبغي، ولكننا لا نستطيع إلا أن نكون يداً واحدة مع الأوقاف في مقاومة الكيان المغتصب.

● **ما دور السلطة الفلسطينية؟**

– السلطة الفلسطينية تقوم بخدمة الاحتلال، فهي سلطة التنسيق الأمني، وليس لها أي دور في وضعنا الحالي بالقدس، أو المسجد الأقصى، فالقدس تحت الاحتلال الصهيوني، غير أنها تحيك الدسائس للإيقاع برجال الأقصى ونسائهم في براثن سلطات الاحتلال.

● **ما المقصود بـ«مقلوبة» الأقصى؟**

– أنا لا أستطيع الوصول إلى المسجد الأقصى كمعلمة، أو مرابطة، ولا أستطيع التواجد فيه بحلقة تعليمية، أو ذكر، إذن كيف نجمع الناس؟

أول طعام أكلناه في ساحات الأقصى بشهر رمضان كان طعام «المقلوبة»، وكانت أول مقلوبة تقلب على باب السلسلة التي أعدتها الأخت هنادي الحلواني، في البداية

من اليمين الزميلان سيف باكير وسعد النشوان يحاوران خديجة خويص

كانت عبارة عن محاولة أن نقوم بتجربة شيء جديد، لكي يجمع الناس، بعد ذلك صارت المقلوبة وسيلة للجذب الحقيقي للناس، وربما المقدسي لم يدرك الفائدة الهائلة لما نقوم به داخل المسجد الأقصى واستغرب هذا الأمر، فعملنا الأساسي من وجهة نظر المقدسيين هو الرباط والتعليم، ولكن سلطات الاحتلال أدركت أن مقلوبة هنادي الحلواني، وخديجة خويص داخل الأقصى لها هدف باطن ومغاير عن الشيء الظاهر، التي لا تزيد على كونها الأكل والشرب، وأدركت السلطات الصهيونية أن الهدف من وراء طعام المقلوبة إعمار المسجد الأقصى بالمصلين، وصارت المقلوبة بالذات رمزاً من الرموز المرتبطة بالمسجد الأقصى، ولا يُذكر رمضان إلا بمقلوبة خديجة، وهنادي.

● **بماذا تأملون من موقف الكويت في مجلس الأمن تجاه قضية القدس؟**

– كانت الكويت من الداعمين الأساسيين

«السلطة» تقوم بخدمة الاحتلال وليس لها أي دور في وضعنا الحالي بالقدس أو المسجد الأقصى

موقف الكويت في مقاومة «التطبيع» مشهود ويثلج صدورنا

للشعب الفلسطيني، فأنا أسكن بجانب مستشفى المقاصد، وهذا المستشفى يشهد لدولة الكويت بالدعم المادي الذي ساعده في الثبات والصمود من أن يسقط ويصبح تابعاً لوزارة الصحة الصهيونية، وهذا المشهد كنت أراه في المستشفى أمام عيني، فكيف بالمشاهد والمواقف الأخرى، التي لم أشهدها ولم أرها.

وللكويت موقف مشهود في مقاومة «التطبيع»، وهذا الموقف يثلج صدورنا حينما نرى على التلفاز رئيس مجلس الأمة الكويتي يقف أمام أي تصريح صهيوني يدعو للتطبيع، ويجابه أي محاولة للتقرب من الكيان الصهيوني أو التطبيع معه، خصوصاً في هذا الوقت المحاط بجو يتهافت على التطبيع، سواء كان سياسياً أو اقتصادياً، أو إعلامياً أو رياضياً.

● **ما رسالتك للشعب الكويتي؟**

– رسالتي للشعب الكويتي أن يبقى ثابتاً على موقفه في مقاومة «التطبيع»، وقد تميز وحكومته الراشدة في المحافظة على هذا الحاجز المتين الذي نتمنى ألا يُخترق.

● **ما رسالتك لأهل القدس؟**

– رسالتي للمقدسيين: حافظوا على الأقصى قبل أن يضيع منكم، وتفقّدوه حتى لا تفقدوه، ورسالتي لهم أيضاً: اثبتوا، فصاحب الحق لن يضيعه الله وهو منتصر لا محالة، حتى وإن تأخر.■

الموريسكيون والتزامهم بالإسلام

الموريسكيون (Moriscos The Los Moriscos): المسلمون الأندلسيون الذين بَقَوْا في الأندلس بعد سقوط غَرْناطة، واجهوا مظالمَ محاكم التفتيش التي استمرتْ أربعةَ قرون ويَزيد، فوقَ عَشرة أجيال، مارَسَتْ معهم أفانينَ القتل والتعذيب والتنكيل، وأَجْبَرَتْهُم على التَّنَصُّر، وإلا فليس لهم غيرُ الموت والحرق بالنار، أَمْرٌ أَقَرَّتْ به السلطاتُ الكنسية والرسمية الإسبانية، وهما وجهان لعملة واحدة.

أ. د. عبدالرحمن علي الحَجِّي
أستاذ التاريخ الإسلامي والأندلسي وحضارته

للموريسكيين قصص عجيبة في مُعاناتهم وثباتهم، تَسْري على كافة أمورهم وأفعالهم ومنجزاتهم، سواء مَن بَقيَ منهم في الأندلس أو غادرها؛ فقد نَجَا مَنْ أمكنه الهرب.

حيثما حَلَّ الموريسكي بَدتْ عليه مخايلُ إيمانه العميق بالإسلام والحفاظ عليه، وعَمَلِ بكل طاقاته وأُمنياته المتنوعة ومهاراته المُبْدَعة، وُجْهَتُه ومثابرتُه وجُهُودُه، لم يبخل بها، ظَهَرَ جهادُهم براً وبحراً، كُلُّها أبانتْ بَراعاتهم وإبداعاتهم وعبقرياتهم وإخلاصَهم ودقتَهم وإتقانَهم وجِدَّهم، أعمالاً ومِهَناً وتوجيهاً، أقاموا -في البلدان التي هاجروا إليها، لا سيما الشمال الأفريقي- حيث المدن الجميلة الباهرة المعْمَار، وحدائقها المتنوعة المبدعة، بأزهارها الغنَّاء الفارعة، حيث تركتْ أجملَ الآثار، التي ما زالت تُعْتَبَر رائدةً، وقَدَّمَتْ أروعَ الثِّمار.

حينما يُذْكَرُ الموريسكيون يَسْتَهين بعضُ الناس بالتزامهم الإسلامي، بينما واقعهم عكس ذلك؛ فكيف لهؤلاء أَنْ يُنْتَقَصوا أو يُتَّهَموا بالتقصير، وهم حَقُّهم أن يُعْتَبَروا قُدْوةً في الثبات على الدين والإيمان والالتزام العملي الفَعَّال المقْدَام، دليلُ الفهم العميق الأمين المَكين للإسلام، وهو أمرٌ يقودهم للممارسة العملية في جميع الظروف والأحوال والأجواء، مع التَكَيُّف المحمود؟!

كُلُّ هذه المَشاهد، التي بَدَتْ عليهم، كانت خيرَ دليل، رغم قلة المعلومات، سواء ما أمكن توافرُه، أو ما تناثر منها وضاع في الطريق بالحريق أو التمزيق، حيث لم يمكنهم الكتابة عن أحوالهم ومواجهاتهم ومجْرَيات حياتهم، أمامَ وَطْأة ظروف محاكم التفتيش الغاشمة الظالمة وبَطْشها العنيف، رغم عدم كفاية الدراسات اللازمة عنهم، سيما باللغة العربية، بل إنَّ دراسات غربية تحاول تهميشَ قضاياهم، لحساب الأمور المُتَعَلِّقَة بدينهم.

من علامات روعة التزامهم بالإسلام واعتزازهم به واعتباره قضيتَهم الأولى حرصُهم الشديد على تَوْريث أبنائهم الإسلامَ؛ بنينَ وبنات -منذ نعومة أظفارهم وبداية وَعْيهم وتفتُّح عيونهم على الحياة، لعُمُر أربع سنوات- في تلك الظروف القاهرة والمَتابَعَة والمراقبة، بالتجسس والتجنيد والتحشيد لفئات كثيرة من عموم الناس، ولم يتوقف التوريث رغم كل هذه الأجواء والظروف والأحوال والمُلاحقات الماحقة.

التوريث الذي كان يَتِمُّ في المحْضَن الأول الأساس الرئيس؛ الأسرة، ولهذا مدلولٌ بارع؛ الأمرُ الذي أَبْقَى هذه الأجيالَ على الدين، بينما نجد كُلَّ المؤثرات الأخرى لا تُحْدِثُ مثلَ هذه الوراثة؛ مستوىً ومدة وتأثيراً ونوعيةً، إلا في حدود من جيل إلى جيل، بمثل هذه القوة والتأثير والتدفق والرُّسُوخ، كيف إذن لو تَمَّتْ في ظرف مفتوح ومُتاح؟ إذن لكان أكثرَ روعةً وجَدارةً بالتمجيد والإعجاب والإكبار.

هذا يقود إلى معرفة نوعية ما كان عليه أهلُ الأندلس أيامَ تمكنهم المتحرر المستقر، من رسوخ الدين وعمق جذوره وموقعه ومنزلته الرفيعة لديهم، ويمكن إدراكُ تلك النوعية من خلال قراءة بعض ما بقي من كتابات الموريسكيين، لمعرفة نوعيتهم الإسلامية.

ذلك أَنَّ الموريسكيين اعْتَبَروا الأندلسَ بلدَهم المحبوب؛ وطنَهم وديارَهم الكريمة -قبل أي أحد- حيث كانت كثرتُهم الكاثرة من أهل البلاد الأصليين اعتنقوا الإسلامَ، كان أعزَ عزيزٍ عليهم، غدا أكثرَ وأَوْلَى بالبذل

والتضحية للحفاظ عليه، مِنْ أنفسهم وأغلى من حياتهم جميعاً، وقد واجهوا أنواعاً مِنْ عُنْف إجراءات محاكم التفتيش التعسفية المُرْهِقة المُنْهكة، التي حَرَّمَتْ كُل ما يتعلق بالإسلام ومَنَعَتْهم ممارستَه، بخطط قاهرة، أبادت الإيمان والبيان والإنسان باسم الدين، وكان هدفُها القضاء عليه.

تَبَيَّن أَنَّ تنفيذَ هذا الأمر يحتاج إلى وقت طويل وأساليب هوجاء، لا اعتبار فيها لأي قِيَم ولا خُلُق، بَلْهَ تعاليمَ دين، ومما عَرَضُوه عليهم ابتداءً الرحيل الذي عَزَّ عليهم، وقد قَبِلَه البعضُ فراراً بدينهم، رغم المخاطر التي تحتويه، حيث يمكن أن يُقْتَل في الطريق أو يذهب بالتغريق، كما البقاء بالحريق، إذ قد بَلَغَ الأمرُ أَنَّ مَن يقرأ العربية يُحْكَمُ عليه بالموت حَرْقاً، هكذا كان يتم الحُكْمُ بالإعدام حَرْقاً، لمن يجدونه يقرأ العربية وكُتُبَ المسلمين[1]، كل ذلك لإفناء شعب متميز بأكمله.

احتار المورسكيون ماذا يفعلون أمامَ القُوَى المتمكِّنة للحفاظ على دينهم، فذهبوا يستفتون فقهاءَ المغرب، منهم من قال بضرورة الرحيل، ومنهم من دعا إلى البقاء في البلد، ومواجهة تلك السياسات وإيجاد السبيل للتعامل معها، حفاظاً على الدين والوطن، بكل طاقة لديهم، ولو بالاستماتة من أجله ثباتاً عليه، واجهوا ما لم تعهد الإنسانية من قَبْل، اهتدوا إلى طريق، لا أدري كيف اتفقوا عليه، أفضل أُسلوب يَحفظ لهم ما يريدون، لكنَّ تكاليفَه باهظةٌ مليئة بالمخاطر يُظهرون النصرانية ويُبْطنون الإسلامَ.

اختار هؤلاء المورسكيون البقاءَ في الأندلس مهما كانت النتائج، واضعين في حسابهم كُلَّ الاحتمالات حتى الموت، بدأتْ محاكمُ التفتيش بالسجون، بكل ما فيها من تعذيب لا نهاية له، يتمنى أَحَدُهم بَدَلاً منه الموتَ.

كُلُّ مَن يبدو عليه أنه ما يزال مسلماً يؤخذ إلى الموت، رجالاً ونساءً وأطفالاً، لا ينفعه الإنكار، أَخَذوا من سن الخامسة عشرة إلى سن الخامسة والسبعين، سيقوا إلى ساحات الموت حرقاً بالنار، كانت تتم جماعياً، في ساحات المدن الكبرى لتكون عِبْرةً للجميع وتفعيلاً وتَشَفِّياً لحقدهم الأسود، أَنْ يَتِمَّ ذلك في أحفال جماعية اعتبروها إيمانية، سَمَّوْها من أحفال الإيمان (Auto-da-Fé)، برعاية الكَنَسيين بكل رُتَبهم، وبحضور الملك وعائلته وحاشيته ورجال الشرطة والفِرَق الموسيقية وعموم الناس، لا شك أن العديد من المورسكيين شاهدوها، يتم ذلك بأن يُوضَعَ تَلٌّ من الخشب في وَسْط الساحة، يُجْلَس فوقَها المحكومُ عليهم، تُشْعَل فيهم النار، والموسيقى تَصْدَح بمرافقة الأناشيد الدينية، حتى يتفحموا ويكونوا رماداً.

أَقَرّ ملكُهم «فيليب الثالث» الملقب بـ«الوَرِع»! مُفاخِراً بهذا الإنجاز الكبير، أصدر في ١٦٠٩/٩/٢٢م (١٣ جُمَادَى الثانية ١٠١٨هـ)[2] مرسوماً بطرد المورسكيين من إسبانيا بإيعاز وتشجيع كبير أساقفة بلنسية «خوان دي ربيرا»، باتهامهم بالبقاء على دينهم ومساعدة المجاهدين على سواحل إسبانيا.

احتمل الأندلسيون المورسكيون الذين حَكَمَتْ عليهم دواوينُ محاكم التفتيش كُلَّ هذه المواجهات لقرون، ولم يتزحزح أحد منهم عن موقفه الإيماني والتزامه وتمسُّكه بهذا الدين، لدينا على ذلك الأمثلة، المَكْتُوبُ عنه جِدٌّ قليل، ضاع منه الكثير، أحياناً تَظهر شَذَراتٌ هنا وهناك، مما يُعَبِّر عنه، مثل بعض اللوحات المرسومة لرسامين إسبان.

كان يتم الحرق في ساحات المدن الكبرى، كساحة مدريد المعروفة بـ«الساحة الكبرى»، التي تُمَثِّل قلبَ مدينة مدريد الإسلامية.

تُكْتَشَفُ وثائق أُفْرِجَ عنها في أراشيف إسبانيا والبرتغال، كتلك المرأة المورسكية البرتغالية التي دَعَتْ بعضَ نساء جيرانها النصارى لوليمة، رَأَيْنَها في بداية تناول الطعام تُحَرِّك شَفَتَيْها، كان ذلك دليلاً على ذكر دعاء الأكل، وَشَيْنَ بها إلى محاكم التفتيش، أُخِذَتْ ولم يُعْرَفْ خبرُها بعد ذلك.

كان المورسكيون إذا واجهوا الأذى يزدادون شجاعةً، لم يَرحلوا ابتداءً، وأصرّوا على البقاء، أسرة الكامبنيرو في مدينة سَرَقُسْطَة وأسرة بني غيش بمُرْسِيَة، بعد

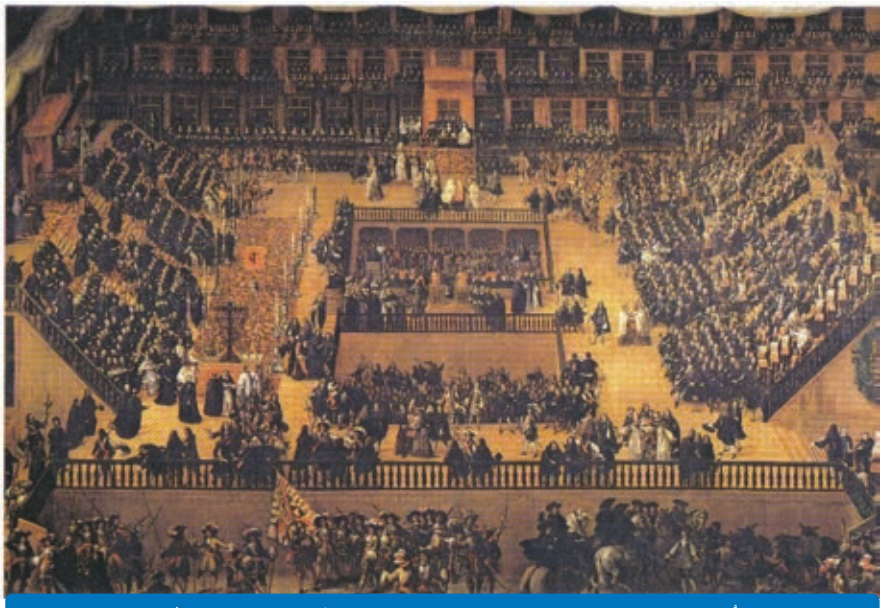

هكذا يتم حَرْقُ المسلمين الأندلسيين المورسكيين، الذين حَكَمَتْ عليهم دواوينُ محاكم التفتيش الغاشمة الظالمة، ممَن يَظهر عليه وعليها أنه مايزال مسلماً، لا ينفع الإنكار، يتم بشكل جماعي، يُوضَعون على تَلّ خشب، تُضْرَمُ فيه النار، يقرؤون الأناشيد الدينية، معها الموسيقى الكنسية، يَعْتَبِرونه إنجازاً دينياً، يُسَمُّونه: من أحفال الإيمان Auto-de-Fé، Auto-da-Fé !!!.

حَقُّ المورسكيين أن يُعتبروا قدوة في الثبات على الدين والإيمان والالتزام العملي الفعال

اختاروا البقاء في الأندلس مهما كانت النتائج واضعين في حسابهم كل الاحتمالات حتى الموت

بعض جثث المقبرة الجماعية التي ظهرت بكنيسة مدينة يرينا كما نُشرَتْ في الصحف الإسبانية

الطَّرْد الأخير (الطرد الكبير)، الشاب «خوان» من أسرة الكامبنيرو، حُكِمَ عليه بالموت حَرْقاً سنة ١٥٨٢م رَمَى صليباً كان يحمله جبراً، رَفَعَ سَبَّابَته يقرأ الشهادة قبل الموت، أما باقي الأسرة فقد أُحْرِقَ مِنْ نسائها ورجالها وشبابها الكثير، قُضِيَ عليهم جميعاً، حين اكْتُشِفَ أمرُهم.

يَظْهَرُ هذا البَغْيُ بمعرفة بعض المَقابر الجماعية، منها ما اكْتُشِفَ بكنيسة مدينة يرينا عام ١٩٧٩م، وعُرِفَ أَمْرُها بعد إخفاء، بعض جثث هذه المقبرة الجماعية نُشِرَتْ في الصحف الإسبانية.

مع أن جميع المورسكيين لم يواجهوا الدولة ابتداءً ولا أي سلطة أو مسؤولين، منذ ذَهاب سلطانهم السياسي، الذي أحسنوا خلاله معاملةَ غير المسلمين، الذين كانوا يمارسون كافة شعائرهم وأعمالهم وأمورهم بحرية وارتياح وأمان، لكن أمام الاضطهاد الشنيع، أُجْبِرَ المورسكيون على المواجهات المسلحة، دفاعاً عن النفس والدين والالتزام به، رغم معرفتهم أن وراءَه الإبادة الكاملة، حتى النساء والأطفال كانوا يَتَّسمون بالشجاعة.

لم يتمكن أَحَدٌ أن يَكْتُبَ شيئاً مطلقاً في تلك الأجواء المظلمة؛ فإننا لا نَجِدُ معلومات كُتِبَتْ من قِبَل مَن بَقِيَ منهم في الأندلس.

لكن وَجَدْنا كتاب «نبذة العصر في أخبار بني نصر»، معاصراً لأحداث غرناطة الأخيرة، كَتَبَه صاحبه بعد خمسين عاماً مِنْ ذهاب سلطان المسلمين، عَمَدَ ألا يَكْتُبَ اسمَه، إلا بعض المعلومات التي كُتِبَتْ بعده، لأولئك الذين أمكنهم الفرار إلى المغرب، مثل محمد ابن عبدالرفيع، الذي أَلْحَقَ كتابَه «الأنوار النبوية في آباء خير البرية» بمعلومات عنهم.

كذلك فعل الشِّهَاب الحَجَري أحمد بن قاسم بن أحمد بن الفقيه قاسم بن الشيخ الحَجَري الأندلسي، في كتاب «العزّ والرفعة والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع»[٤]، كَتَبَه بالإسبانية في تونس الرئيس إبراهيم بن أحمد بن غانم بن محمد بن زكريا الرَّبَّاش الأندلسي المورسكي، عَرَّبَه الشِّهاب الحَجَري، وأضاف إليه أخباراً تاريخية جيدة ومهمة في بدايته ونهايته.

كانت آمالُ المورسكيين دوماً متيقظةً وإيمانُهم متدفقاً، حافَظوا على دينهم والتزامهم ولغتهم ولو حروفاً، كان بعضهم فقيهاً وراعياً للآخرين بأمواله كذلك؛ نساءً ورجالاً وأطفالاً، يتولون التدريس والرعاية، ويستعملون كُلَّ إمكانية وطاقة للحفاظ على دينهم وأهلهم، حتى لو افتدوه بالنفوس، أمَّا الأجيال التالية التي التزمت فقد نَشَأَتْ تحت وَطْأة نير مظالم محاكم التفتيش، وبَقِيَتْ مستمرةً تحافظ على هويتها الإسلامية، وأدركوا أنهم لا يستطيعون مواجهتَها، وانشغلوا بالحفاظ على دينهم وتوريثه أبناءَهم، واعتبروه مهمتَهم ووسيلتَهم لبقاء الإسلام في الأندلس، وعاشوا بنوع من الارتباط.

> **من علامات التزامهم بالإسلام واعتزازهم به حرصهم الشديد على توريثه لأبنائهم**
>
> **أُجبروا على المواجهات المسلحة دفاعاً عن النفس والدين رغم معرفتهم أن وراء ذلك الإبادة**

لاحظتُ منذ وقت طويل، وأنا أسأل نفسي: هل أسلم أحد في ظروف محاكم التفتيش هذه؟ ثم وَجَدْتُ ذلك: يَذْكُر الشِّهَابُ الحَجَري (تونس ١٠٥١هـ/ ١٦٤١م) في كتابه «ناصر الدين على القوم الكافرين»، بعضَ مَن أسلموا في العهود الأندلسية الأخيرة أيامَ محاكم التفتيش، أمرٌ يثير الدهشة وله مدلول أي مدلول، مثل عبدالله التُرْجُمان، الذي ألف كتاب «تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب».

ظهرت كتب أخرى ألفها هؤلاء، مثل «النور الباهر في نصرة الدين الطاهر»، ليوسف الحكيم، المهاجر الأندلسي إلى المغرب، الحَبْر اليهودي المعروف، أسلم بُعَيْد الطرد الأخير.

ولدينا كتاب «السيف الممدود في الرد على أحبار اليهود»، تأليف الشيخ محمد عبدالحقّ الإسلامي السبتي الأسلمي، المكنى بـ«المهدي»، أَلَّفَه في مدينة سبتة أواخر القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي).■

الهوامش

(١) ناصر الدين على القوم الكافرين، الشهاب الحجري، ٢٤. تحقيق الدكاترة: كوننكزفلد، قاسم السامرائي، فيخرز.

(٢) ناصر الدين على القوم الكافرين، الشهاب الحجري، ١٥١ – ١٥٤. حوليات الجامعة التونسية، الأستاذ عبدالمجيد التركي، ٣٠/٤ – ٣٩.

(٣) يبدو أن الاختلاف في هذا التاريخ متعلق بصدور المرسوم وتنفيذه ابتداءً وانتهاءً.

(٤) تَمَّ تأليفه في حلق الوادي في مدينة تونس سنةَ ١٠٤٠ – ٢٢ ربيع الأول ١٠٤٢هـ، ثم عَرَّبَه الشِّهَابُ الحَجَري في ١٣ ربيع الأول – ١٠ ربيع الثاني ١٠٤٨هـ (١٦٣٩م).

المدير التنفيذي للمعجم د. عز الدين البوشيخي لـ«المجتمع»:

«معجم الدوحة التاريخي للغة العربية» يصون هوية الأمة

نحو مائة ألف مدخل معجمي، مرتبة ترتيباً تاريخياً من أقدم نقش أو نص حتى عام ٢٠٠هـ، تضمها المرحلة الأولى أو التأسيسية لمعجم الدوحة التاريخي للغة العربية، التي تم تدشينها مؤخراً في قطر، ليشكل المعجم مشروعاً للأمة، يصون هويتها، ويحفظ لغتها الفصحى.

يتناول د. عز الدين البوشيخي، المدير التنفيذي لمعجم الدوحة التاريخي للغة العربية، في حواره مع «المجتمع»، الأهمية التاريخية لهذا المشروع الكبير، وأهم ما يميزه، بالإضافة إلى حديثه عن مستقبل هذا المعجم وانعكاساته على أبناء اللغة العربية، وما يتمايز به عن غيره من معاجم اللغات الأخرى.

الدوحة - عمرو محمد:

● ما الأهمية التي تميز بها معجم الدوحة التاريخي للغة العربية؛ ما يجعله مشروع أمة؟

- تكمن أهمية المعجم في أن الأمة أصبحت بوجود معجم تاريخي للغتها قادرة على أن تجمع تراثها الأدبي والديني والعلمي والثقافي المبثوث في النصوص جمعاً واحداً، وينبني على ذلك أن الأمة العربية أصبحت قادرة على إضفاء طابع النظام على فكرها في سيرورته التاريخية، كما انعكس في مرآة لغتها.

وأؤكد أن معجم الدوحة التاريخي للغة العربية يجمع لغة هذه الأمة بألفاظها ومبانيها، على خط الزمن منذ أن كانت إلى يومنا، خاصة أن صفة الأمة تكتسب مشروعيتها من الناحية التاريخية، علاوة على اكتساب صفتها من الناحية اللغوية والواقعية.

من هنا، فإن معجم الدوحة التاريخي للغة العربية ينفرد بإنجازه على غير منوال سابق في اللغة العربية، بإعداد زهاء مائة ألف مدخل معجمي، مرتبة ترتيباً تاريخياً من أقدم نقش أو نص إلى عام ٢٠٠هـ، وهذه مرحلة تأسيسية للمعجم.

● ما مدى تأثير هذا المعجم على مستقبل الناطقين باللغة العربية؟

- المعجم يقدم ذخيرة مهمة من ألفاظ اللغة العربية التي قد تكون أُهملت في الاستعمال أو تناساها الناس أو لا يعرفون دلالاتها، أو التطورات الدلالية التي لحقتها والمعاني التي رصدتها، ولذلك فهو خزان لهذه اللغة يحفظها، كما أنه خزان للاستفادة منه في المستويات البحثية والتعليمية، فضلاً عن أنه يفتح أفقاً جديداً في اللغة العربية بمجال صناعة المعاجم وفق معايير ومبادئ الصناعة المعجمية المعاصرة.

● هل هناك خطة إعلامية للتعريف بمعجم الدوحة التاريخي في العالم العربي؟

- نعم.. هناك خطة للتعريف بالمعجم ليس في العالم العربي فقط ولكن في الغرب أيضاً، وسوف نتعرف من خلال البوابة الإلكترونية على التفاعل مع المعجم، ويمكن للباحثين إبداء آرائهم وأفكارهم التي تضيف للمعجم.

وأؤكد أن معجم الدوحة التاريخي للغة العربية طفرة، وهو متاح للجميع، ولكن مع ضرورة التسجيل بالبوابة الإلكترونية، وقد نتخلى عن هذا التسجيل، ليصبح متاحاً دون أي قيد، لكن حتى الآن سيظل التسجيل مطلوباً لمن يريد أن يتفاعل مع المعجم، أو يعلق بملاحظات، وهذا أمر مهم للغاية.

وفي هذا السياق، نسعى إلى أن نتفاعل مع الجمهور، والعلماء المهتمين باللغة العربية، وأن يكون لهم نصيب في المشاركة، لكننا لا ندعي الكمال، ونريد من كل المهتمين والباحثين والخبراء أن يشاركوا في تطوير

هذا المعجم، بإضافة كلمة جديدة أو تاريخ دقيق.

● هل يعني هذا أن هذا المعجم متاح للإضافة من قبل النخبة والمهتمين عموماً؟

– نعم، فنحن نرحب بكل هذا، ونعده عملاً مهماً، وهذا أيضاً كان من جوانب تسمية المعجم بـ«معجم الأمة»، لأنه عمل جامع متاح للجميع، وأريد التوضيح بأن معجم الدوحة التاريخي للغة العربية عمل تأسيسي منفتح على المراحل الموالية، وقابل للتحديث المستمر، ومفتوح أمام مشاركة العلماء والباحثين باقتراح التصويب والتعديل والإغناء.

● ما عدد الفريق الذي اشترك في إعداد هذا المعجم؟

– شارك في هذا المشروع قرابة ٣٠٠ باحث من أساتذة الجامعات المختصين في الدراسات اللغوية واللسانية العربية ينتمون إلى عدد من الدول العربية.

ويضم المعجم مواد المرحلة الأولى الممتدة من أقدم نقش عربي موثق إلى حدود نصوص العام ٢٠٠هـ، والمتضمنة لزهاء مائة ألف مدخل معجمي بناء على مدونة مهمة من النصوص العربية، كما سبق أن أشرت.

واعتمدت هذه المشاركة على اختيار الكفاءات وممارسة الحوار العلمي الجماعي الذي يعلو على الحساسيات الفردية أو العقد المحلية أو القُطرية، وكان ذلك كله كفيلاً بتحقيق المشاريع الكبرى التي ليست مفيدة للعرب فقط، ولكن للإنسانية جمعاء؛

ينفرد بإنجازه على غير منوال سابق في اللغة بإعداد نحو ١٠٠ ألف مدخل معجمي

يفتح أفقاً جديداً باللغة العربية في مجال صناعة المعاجم وفق المعايير المعاصرة

فلقد تم إنجاز هذا المعجم خلال ٥ سنوات، وفي هذا دليل واضح على الوتيرة التي تم الاشتغال بها لإنجاز هذا المشروع الكبير.

وأؤكد أن المشروع مهم على مستويات عديدة؛ فهو دليل على عدم استحالة أي شيء إذا حسنت النوايا، وتوافرت الإرادة،

عملٌ تأسيسيٌّ منفتح على المراحل الموالية ومفتوح أمام مشاركة العلماء باقتراح التصويب والتعديل

بتدشين هذه المرحلة منه نكون قد غطينا ٧ قرون من عمر اللغة العربية

خاصة إذا كان التصميم جاداً، ويحظى بمتابعة دقيقة.

● كيف يمكن تصنيف المعجم بالنسبة للسياق العالمي والخاص بالمعاجم التاريخية العالمية؟

– لا شك أن هناك أوجه ائتلاف واختلاف بين معجم الدوحة للغة العربية والمعاجم التاريخية لبعض اللغات العالمية، غير أن معجم الدوحة يتفرد بالعديد من المبادئ المنهجية والخصائص والوظائف وتقنيات الصناعة المعجمية وإدارة الإنتاج والنشر وغيرها.

ولا شك أنه بتدشين هذه المرحلة من معجم الدوحة التاريخي للغة العربية، فإننا نكون قد غطينا سبعة قرون من عُمُر اللغة العربية، ما بين القرن الرابع قبل الهجرة النبوية، حتى القرن الثاني بعدها، وهذا بعث جديد للأمة بأن أصبح لها معجم تاريخي للغتها؛ وهو ما يجعلها قادرة على أن تجمع تراثها الأدبي والديني والعلمي والثقافي المبثوث في النصوص.

ونحن أمام مشروع يستحق جل العناية والاهتمام باعتباره مشروعاً حضارياً يعزز مكانة اللغة العربية، ويجدد مجالات البحث والدراسة في حقولها العلمية كافة، وما أحوجنا اليوم إلى مثل هذه المشروعات التي تدعم اللغة العربية في زمن تواجه فيه تحديات متنوعة، وتتطلب منا حمايتها والمحافظة عليها باعتبارها رمز هويتنا وأساس وجودنا.

● كيف يمكن الاستفادة من هذا المعجم في المعاجم الأخرى المتخصصة للعلوم الإنسانية؟

– لا شك أنه في المستقبل يمكن الاستفادة من معجم الدوحة التاريخي في معاجم أخرى متخصصة في المصطلحات الشرعية والأدبية والكيميائية والفلسفية والمنطقية والجغرافية والفيزيائية والطبية، وغيرها من العلوم الأخرى التي عرفها العرب، علاوة على استخلاصنا لمعجم لألفاظ الشعر الجاهلي، وألفاظ اللباس، وألفاظ الحضارة، ومعاجم تعليمية مثل معجم الأفعال أو الأسماء، إلى غير ذلك، وكل ذلك سيساهم في استخلاصنا للمصطلحات فيما يتعلق بموضوع بعينه.■

الإعاقة والطفولة.. الواقع والتحدي

لندن - د. أحمد عيسى:
دكتوراه من جامعة برمنجهام - كاتب وأديب

بخلاف العوامل الوراثية، فإن بعض المجتمع الإنساني (المعوق) البعيد عن الإيمان هو الذي أوجد جل الإعاقة، حروب شرسة تقطع الأطراف، وأسلحة نووية تمسخ الأجساد، وإشعاعات تشوّه الأجنة، وتلوث بيئي ينشر الأمراض، وحصار ظالم يمنع الغذاء والدواء، ولا تتوقف الدعاية لتعاطي الدخان والخمر والمخدرات والرذيلة، رغم العلم بتأثيرهما على الحمل، ولا يمنح التطعيم للأطفال الفقراء إما للإهمال أو عدم توصيل الأغنياء له، ناهيك عن حوادث الطرق والبيوت.

مهما كان السبب، فلا يتمادى الإنسان في إذلال أخيه الإنسان الذي ابتلي بفقدان عضو أو قدرة، بل عليه أن يغير من نظرته المادية التي هي مزيج من التأفف والازدراء، إلى نظرة الإسلام التي هي مزيج من الرحمة والعدل، وعلى أوطاننا أن تتبنى نظرة الإسلام وتقف مادياً ومعنوياً لنصرة هؤلاء الأبناء.

جاء في أخبار «BBC» بأكتوبر ٢٠٠٦م أن السلطات الألمانية عثرت على أكثر من ٥٠ جثة، أغلبها لأطفال، في مقبرة جماعية تم اكتشافها بمدينة ميندنبرج، ويعتقد المدعون أن الضحايا هم نتاج برنامج إبادة نازي أسفر عن قتل أكثر من مائة ألف معوق بين عامي ١٩٣٩ و١٩٤١م بافتراض أن ذلك سيؤدي إلى تنقية الجنس الآري!

وقال أحد الشهود: إنه شاهد عربات تجرها الخيول وهي تحمل الجثث حيث يتم إلقاؤها في مقبرة قرب موقع المستشفى الذي كان يديره طبيب «هتلر» الخاص «د. كارل براندتي» الذي كان يدير البرنامج، وكان الضحايا يلقون حتفهم بالحقن بالمواد السامة أو ثاني أكسيد الكربون[1]، أين هذا من استخلاف الرسول ﷺ ابن أم مكتوم (الأعمى) على المدينة ١٣ مرة منها غزوة «أحد»، و«بدر»، وحجة الوداع؟ وكان ابن أم مكتوم مؤذن الرسول مع بلال، وكان يُصلّي بالناس في عامّة غزوات رسول الله ﷺ، هذا يعني أنه برغم إعاقته كُرِّم.

حقائق من الأمم المتحدة[2]:

- وصل عدد سكان العالم إلى ٧ مليارات نسمة.
- أكثر من مليار شخص في العالم لديهم شكل من أشكال الإعاقة (١ من كل ٧ أشخاص تقريباً).
- أكثر من ١٠٠ مليون طفل من ذوي الإعاقة.
- الأطفال ذوو الإعاقات أكثر عرضة للعنف ٤ مرات من الأطفال غير المعاقين.
- يعيش ٨٠٪ من جميع الأشخاص ذوي الإعاقة في بلاد نامية.
- لا يستطيع ٥٠٪ من الأشخاص ذوي الإعاقة تحمل تكاليف الرعاية الصحية.

تعرّف الأمم المتحدة الإعاقة بأنها حالة أو وظيفة يحكم عليها بأنها أقل قدرة قياساً بالمعيار المستخدم لقياس مثيلاتها في نفس المجموعة، بما في ذلك العجز البدني، والعجز الحسي، وضعف الإدراك، والقصور الفكري، والمرض العقلي، وأنواع عديدة من الأمراض المزمنة.. والمعوقون أقلّ حظاً من غيرهم فيما يخص الحالة الصحية والإنجازات التعليمية والفرص الاقتصادية، كما أنّهم أكثر فقراً مقارنة بغيرهم، وهناك أسباب عدة لذلك، منها نقص الخدمات المتاحة لهم، والعقبات الكثيرة التي يواجهونها في حياتهم اليومية، وتأخذ هذه العقبات أشكالاً متعلقة بالبيئة المادية أو الأشكال الناتجة عن القوانين والسياسات، أو التصرفات الاجتماعية أو التمييز.

والأشخاص ذوو الإعاقة أكثر عرضة من غيرهم لأعمال العنف:

- فالأطفال ذوو الإعاقة أكثر عرضة للعنف بأربعة أضعاف غيرهم من الأطفال غير المعاقين.
- البالغون ممن يعانون من الإعاقة بصورة أو بأخرى أكثر عرضة للعنف بمرة ونصف مرة من غير المعاقين.
- يتعرض البالغون من المصابين بحالات صحية عقلية للعنف بنسبة أربعة أضعاف ما يتعرض له غير المصابين بحالات كتلك.

ومن العوامل التي تعرّض الأشخاص ذوي الإعاقة للعنف: وصمة العار، والتمييز، والجهل بالإعاقة، وفضلاً عن الافتقار إلى

الدعم الاجتماعي لمن يقومون على رعاية هؤلاء الأشخاص.

المعاناة

يعاني معظم الأطفال المعاقين من الإهمال والإيذاء والعنف في المنزل أو من المجتمع أو المؤسسات التعليمية أو مؤسسات الحضانة والرعاية، ويعد الأطفال المعاقون الأكثر عرضة للعنف منذ مولدهم، لعجزهم عن الدفاع عن أنفسهم، وهناك ممارسات معينة مثل قتل الأجنة أو ما يسمى بالقتل الرحيم، وتستند تلك الممارسات إلى اعتقاد أن الطفل أو الطفلة سيعاني كثيراً في حياته، ومن ثم فالموت أفضل له، أو اعتقاد أن الطفل المولود بإعاقة هو فأل سيئ أو نذير شؤم على الأسرة، في بعض الأحيان يكون المدرسون غير المدربين مسؤولين إما عن إهمال أو مضايقة الأطفال المعاقين أو الصياح فيهم أو بإهانتهم أو بإيذائهم، مما يشجع الأطفال الآخرين في المدرسة على التصرف على مثل هذا النحو، وهذا يزيد من عزلة الأطفال المعاقين ومن تعرضهم لانتهاك حقوقهم[٣][٤].

بعد الخروج من مرحلتي الصدمة والإنكار، هناك خطوات ينصح بها للأسرة التي بها معاق[٥]:

- الصبر على المصيبة والتعامل مع الواقع.
- التعرف على تشخيص الإعاقة وعدم الإغراق في التجول بين العيادات بحثاً عن تغيير التشخيص.
- التعرف على الأسر التي لديها حالة مشابهة.
- التدرب والتعلم على الطرق المثلى في التعامل مع الطفل المعاق حسب إعاقته.
- تهيئة جميع أفراد الأسرة والأقارب للتعامل مع هذا الطفل.
- دمج الطفل في جميع مناشط الحياة.
- تجنب التدليل المفرط.
- المساهمة في التأهيل المجتمعي ونصح الآخرين.
- توثيق التجربة وإفادة الآخرين بالكتابة.
- التفقه في أحكام الإعاقة مثل الرقى الشرعية، وأحكام الشعوذة والسحر، وأحكام العورات، والعبادة لمن لم تكن إعاقته ذهنية،

أكثر من مليار شخص لديهم إعاقة و٥٠٪ منهم عاجزون عن تحمل تكلفة الرعاية الصحية

التمييز والجهل بالإعاقة والافتقار إلى الدعم من العوامل التي تعرّض ذوي الإعاقة للعنف

والرخص الشرعية، وأحكام أموال السفهاء والميراث.

كما أن على الجميع -وليس المؤسسات الخيرية فقط- أن يعرفوا للمعاق حقه، ويوفروا له أسباب كرامته الإنسانية.

تظهر الأدلة والتجارب أنه عند إزالة العوائق التي تحول دون إدماج وتمكين الأشخاص ذوي الإعاقة من المشاركة الكاملة في الحياة المجتمعية، فإن المجتمع يستفيد بأكمله، وقد استطاع أهل الإعاقة التغلب عليها ونبغوا، ومن أمثال الأكفّاء: أبو العلاء المعري، وجون ميلتون (مؤلف «الفردوس المفقود»)، والشيخ عبدالجميد كشك، والصم مثل: الموسيقار بيتهوفن، وأديسون (مخترع المصباح الكهربائي)، وهيلين كيلر (المؤلفة، وكانت كفيفة صماء).

ومن أمثلة العلماء الفقيه عطاء بن أبي رباح، كان أسودَ، أعرج، أشلّ، ولكن كان يُرجَع إليه في الفتوى بمواسم الحج، والعالم الجليل ابن الأثير، صاحب كتابي «الأصول»،

يجب التفقه في أحكام الإعاقة الشرعية مثل الرقى والرخص الشرعية وأحكام أموال السفهاء والميراث

من النوابغ الذين نجحوا في التغلب على إعاقتهم ابن أبي رباح وابن سيرين والمعري والشيخ كشك وابن باز

و«النهاية في غريب الحديث»، كان مُقعَداً لا يستطيع القيام، ومحمد بن سيرين، أحد أتباع التابعين كان أصمّ، ورغم صعوبة ذلك فإن سيرته حافلة بالعلم والتقى، والشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله أحد أبرز علماء الأمة في العصر الحديث.

وقد حث الخليفة عمر بن عبدالعزيز على إحصاء عدد المعاقين في الدولة الإسلامية، ووضع الإمام أبو حنيفة تشريعاً يقضي بأن بيت مال المسلمين مسؤول عن النفقة على المعاقين، أما الخليفة الوليد بن عبدالملك فقد بنى أول مستشفى عام ٨٨هـ، وأعطى كل مُقعد خادماً وكل أعمى قائداً، وأنشأ الخليفة المأمون مآوي للعميان والنساء العاجزات في بغداد والمدن الكبيرة، وقام السلطان قلاوون ببناء مستشفى لرعاية المعاقين.

لا تبكِ حينما تراه إشفاقاً فلن يراك، ولا تهمس له بكلمات العطف فلن يسمعك، ولا تمد له يديك بالهدية فلن يصل إليك.. فهذا طفل حُرم من بعض الحواس، يحتاج إلى تدفق خاص من غيث الرحمة، وفيض الحنان، لكننا كبشر نتركه، بل نلفظه، وأحياناً نعتدي عليه ونقتله! في عصر تدلّل فيه الحيوانات وتستأنس، وتهمل فيه أرواح إنسانية فطرية بريئة ليس لها ذنب في إعاقتها ولا جريرة في ضعفها، أما آن لنا أن نعطي لهؤلاء بعض حقوقهم؟■

الهوامش

(١) العثور على مقبرة جماعية في ألمانيا لضحايا النازية
http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/world_news/newsid_54110005411614/.stm

(٢) اليوم الدولي للأشخاص ذوي الإعاقة ديسمبر ٢٠١٨
http://www.un.org/ar/events/disabilitiesday/background.shtml

(3) Children with disabilities: Factfile
http://www.crin.org/resources/infoDetail.asp?ID=10321&flag=report

(4) http://www.unicef.org/violencestudy/arabic/reports/SG_violencestudy_ar.pdf

(٥) كيف تتعامل الأسرة مع طفلها المعاق؟
http://www.rahmah.org/view/92

﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ۝١٩ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ ۝٢٠﴾

معجزة إلهية أذهلت الملحدين

د. علي الصلابي
كاتب إسلامي ليبي

وصل علماء البحار بعد تقدم العلوم في هذا العصر إلى اكتشاف يدل على وجود حاجز بين البحرين، فوجدوا أن هناك برزخاً يفصل بين كل بحرين، ويتحرك بينهما، ويسميه علماء البحار «الجبهة»، تشبيهاً له بالجبهة التي تفصل بين جيشين، وبوجود هذا البرزخ يحافظ كل بحر على الخصائص التي قدرها الله له ﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ۝١٩ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ ۝٢٠﴾(الرحمن)، ويكون مناسباً لما فيه من كائنات حية تعيش في تلك البيئة.

وقد تدرج العلم البشري لمعرفة حقائق اختلاف مياه البحار وما بينها من حواجز، فقد استقرت الدراسات الواسعة لخصائص البحار، التي أعلنت في عام ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م عن اكتشاف حواجز مائية تفصل بين البحار الملتقية، وتحافظ على الخصائص المميزة لكل بحر من حيث الكثافة والملوحة، والأحياء المائية، والحرارة، وقابلية ذوبان الأكسجين في الماء، وبعد عام ١٩٦٢م عُرف دور الحواجز البحرية في تهذيب خصائص الكتل العابرة من بحر إلى بحر لمنع طغيان أحد البحرين على الآخر، فيحدث الاختلاط بين البحار المالحة، مع محافظة كل بحر على خصائصه وحدوده المحدودة بوجود تلك الحواجز.

وأخيراً تمكن الإنسان من تصوير هذه الحواجز المتحركة المتعرجة بين البحار المالحة عن طريق تقنية خاصة بالتصوير الحراري بواسطة الأقمار الصناعية، التي تبين أن مياه البحار وإن بدت جسماً واحداً، فإن هناك فروقاً كبيرة بين الكتل المائية للبحار المختلفة، وتظهر بألوان مختلفة منعاً لاختلافها في درجة الحرارة.

وفي دراسة ميدانية للمقارنة بين مياه خليج عُمان والخليج العربي بالأرقام والحسابات والتحليل الكيميائي، تبين اختلاف كل منهما عن الآخر من الناحية الكيميائية والنباتات السائدة في كل منهما، ووجود البرزخ الحاجز بينهما، وقد تطلب الوصول إلى حقيقة وجود الحواجز بين الكتل البحرية وعملها في حفظ خصائص كل بحر قرابة مائة عام من البحث والدراسة، اشترك فيها المئات من الباحثين واستخدم فيها الكثير من الأجهزة ووسائل البحث العلمي الدقيقة.

الحاجز بين بحرين في كتاب الله عزّ وجل:

- قال تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ۝١٩ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ ۝٢٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٢١ يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ۝٢٢﴾ (الرحمن).

- وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦١﴾(النمل).

في كل من الآيتين رقم (١٩ - ٢٢) من سورة «الرحمن»، والآية رقم (٦١) من سورة «النمل»، تفسر لفظة «البحرين» التي جاءت مطلقة في الحالتين بالبحرين المالحين، وذلك للمبررات التالية:

الإنسان تمكن من تصوير الحواجز المتحركة المتعرجة بين البحار المالحة بتقنية التصوير الحراري بالأقمار الصناعية

إذا أطلقت لفظة البحر دون تقييد دلت على البحر المالح وإذا قيدت فإنها تدل على ما قيدت به

أ- أن لفظة "البحر" في اللغة تطلق على كل من البحر المالح والبحر العذب (أي النهر)، ولكنها إذا أطلقت دون تقييد فإنها تدل على البحر المالح فقط، وإذا قيدت فإنها تدل على ما قيدت به، وقد جاءت لفظة البحرين مطلقة في الحالتين المذكورتين.

ب- أورد القرآن الكريم لفظة "البحر" بالإطلاق في ٣٩ موضعاً، منها ٣٣ بالإفراد، و٣ بالتثنية، و٣ أخرى بصيغة الجمع، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ۝٣٢﴾ (إبراهيم).

وفي المقابل نلاحظ أن القرآن الكريم أورد لفظة "البحر" بالتقييد المحدد مرتين فقط بصيغة التثنية: يقول فيها الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞ وَجَعَلَ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٗا وَحِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا ۝٥٣﴾ (الفرقان)، والآية الكريمة تشير إلى ثلاثة أنواع من المياه:

- مياه الأنهار وهي شديدة العذوبة.
- مياه البحار وهي شديدة الملوحة.
- مياه في منطقة المصب وهي مزيج من الملوحة والعذوبة، وهي منطقة فاصلة بين البحر والنهر.

لا تختلط الكتل المائية الثلاث (ماء النهر وماء البحر وماء المصب) في الملوحة والعذوبة، وقد شاهد الباحثون الذين قاموا بتصنيف الكائنات الحية أن معظم الكائنات التي تعيش في البحر أو النهر أو المصب لا تستطيع أن تعيش في غير بيئتها وتموت إذا خرجت منها.

ومنطقة المصب منطقة محجوزة على معظم الكائنات الحية التي تعيش في البحر أو النهر؛ لأن هذه الكائنات تموت إذا دخلتها بسبب اختلاف الضغط الأسموزي، وإذا كانت العين المجردة لا تستطيع أن ترى هذا الحاجز الذي يحفظ الله به منطقة المصب، فإن الأقمار الصناعية قد زودتنا بصورة باهرة تبين لنا حدود هذه الكتل المائية الثلاث، ولقد وصف القرآن الكريم منطقة اللقاء بين الكتل المائية الثلاث بأدق وصف وأدل لفظ وأوجز عبارة تضمنت تحديد العلاقة بين الكتل المائية الثلاث وكائناتها الحية التي تعيش فيها.

- وقال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ (فاطر).

جـ- في وصف لفظة "البحرين" المطلقة جاء في سورة الرحمن قول الحق تبارك وتعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾ (الرحمن)، وكل من اللؤلؤ والمرجان لا يحيا إلا في الماء المالح، وإن كانت بعض أصداف اللؤلؤ قد استزرعت صناعياً في الماء العذاب، وعلى ذلك فإن جمع اللؤلؤ والمرجان معاً في الآية رقم (٢٢) من سورة "الرحمن" يؤكد أن المقصود بالبحرين هنا هما: البحر المالح، والبحر المالح، وهو أمر أكبر إعجازاً من التقاء النهر العذب بالبحر المالح، على أهمية ذلك العظمى، وضرورته القصوى لاستقامة الحياة على سطح الأرض، وعلى ما فيه من إعجاز في الخلق يعجز البيان عن تصويره.

د- الإشارة القرآنية الكريمة إلى تعظيم الفاصل بين البحرين العذب والمالح بكل من البرزخ والحجر المحجور، وذلك لوجود الدلتا ومقدماتها وما حولها من حواجز ترسيبية بالإضافة إلى الماء الوسطي بين العذب والمالح (الماء المويلح أي قليل الملوحة) على حواف الماء العذب عند التقاء الماءين ووجود الشحنات الكهربية المتشابهة والمتنافرة في أيونات الأملاح المذابة في الماء.

وفي المقابل، فإن الإشارة القرآنية إلى الفاصل بين البحرين -بغير تخصيص- بتعبير البرزخ فقط أو الحاجز فقط، وهو الحاجز بين الماء الوسطي بين ماءين مختلفين في صفاتهما الطبيعية والكيميائية، كالبحرين المالحين المختلفين أفقياً أو رأسياً؛ وذلك لأن مثل هذا الحاجز يمنع تحرك الكائنات البحرية من كتلة مائية إلى كتلة مائية أخرى مجاورة إلا إذا تباينت الصفات بينهما تبايناً صارخاً، فهو لا يحجز الكائنات البحرية حجزاً كاملاً، كما أنه يصعب إدراكه على غير المتخصصين حتى في زمن التقدم العلمي الذي نعيشه.

هـ- ثبت أن التنوع بين كتل الماء المتجاورة أفقياً ورأسياً بين البحار المتجاورة، وفي داخل البحر الواحد من البحار العميقة والمحيطات ضرورة من ضروريات التنوع البيئي في البحار الذي لولاه لتقلصت الحياة البحرية تقلصاً شديداً.

التنوع بين كتل الماء المتجاورة بين البحار ضرورة من ضروريات التنوع البيئي

وصف القرآن لأدق الأسرار فيه رسالة للملحدين على وجود متقن لذلك وهو الله تعالى

إن هذا العلم الذي نزل به القرآن يتضمن وصفاً لأدق الأسرار في زمن يستحيل على البشر فيه معرفتها ليدل على مصدره الإلهي، كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾﴾ (الفرقان)، وفي رسالة جديدة للملحدين مفادها أنَّ الضبط الدقيق والإتقان في خلق الكون والأرض هو دليل وجود متقن لذلك وهو الله الخالق البارع رب هذا الكون ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ﴾ (السجدة: ٧)، كما تدل على أن الذي أنزل عليه الكتاب رسول يوحي إليه وصدق الله القائل: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ (فصلت).■

المراجع

١- د. علي محمَّد محمَّد الصَّلابي، المعجزة الخالدة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، براهين ساطعة وأدلة قاطعة، دار المعرفة، بيروت، ٢٠١٣م، ص ١٠٩: ١١١.

٢- عبدالمجيد بن عزيز الزنداني، بينات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومعجزاته، دار الإيمان، القاهرة، الطبعة الأولى، ص ٧٢ : ٧٥. ص ١٤٦ : ١٥٥.

٣- د. زغلول النجار، مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، دار المعرفة، بيروت. لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م، ص ٢٠٦.

الاجتهاد.. والقراءة الثانية للنص

د. عامر البو سلامة:
كاتب سوري

شاعت في السنوات القريبة الماضية قضية القراءة الثانية للنص، والتفسير العصري لهذه النصوص، وتبيينها على ضوء علوم العصر وتطوره المعرفي، وقال مروجو هذه القضية كلمات حق يراد بها باطل، وساقوا مقولات حق لبعض الأعلام أرادوا منها التذرع بها لباطلهم؛ فظهر فلان ليقول لنا باسم القراءة الجديدة للنص، بأن كل قيمكم وثوابتكم وإجماعات فقهكم ليست صحيحة، فهاجموا الحجاب، وأحلوا ما حرم الله، وأدخلونا في دوامات لها أول وليس لها آخر بهذه الحجج البائسة، والاستدلالات العابسة، التي انطلت على بعض شبابنا وراقت لهم، وصاروا يلوكونها بأسنان مكسرة.

وفي الحقيقة هي قضية قديمة حديثة:

١- قديمة من يوم ما ظهر أولئك الذين يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم أو تراقيهم، الغلو وصفهم، والشدة مدرستهم، والجفاء سيرتهم، والغلظة منهجهم، والعجلة أساس حراكهم، والحماسة غير المنضبطة طريقتهم، وكان من نتيجة ذلك أن ظهرت تلك العقائد الزائغة، والتفسيرات الشاذة، والتكفير للمسلم، بل كفروا أولياء الله من صحابة نبينا -رضي الله عنهم جميعاً- وقتلوا بعضهم، وحدثت كارثة إراقة دماء طاهرة، وسالت دماء زكية، وأدخلوا الأمة بشواغل ضيعت لهم ترتيب أولويات المشروع الإسلامي، وعرقلت سير العمل في مجالات الحياة كافة، والسبب فهمهم المغلوط للنصوص أو القراءة غير المنضبطة للنص.

٢- وجاءت نتوءات الذين برزوا بلون آخر -مثل التفسير الباطني للنصوص- حتى سمعنا عجائب في هذا الميدان وغرائب، وما ظهور الفرق الضالة في فكرها وعقائدها سوى طيف من أطياف هذا الضلال، فصار الحديث عن الظاهر والباطن للقرآن، وكذا انتشار عقيدة الحلول، إذ يعتقدون بحلول الله -حاشا وكلا- في بشر، وكذلك القول بتناسخ الأرواح، وفسروا الصلاة بذكر بعض أسماء الأئمة، والحج هو الطواف بالقبر الفلاني.. وهكذا، كل ذلك تحللاً من تكاليف الشريعة، مع بث لعقيدة القول بالوحدة المطلقة، وغير ذلك مما يطول ذكره، حتى صار التفسير الباطني للنصوص من مذكورات الناس.

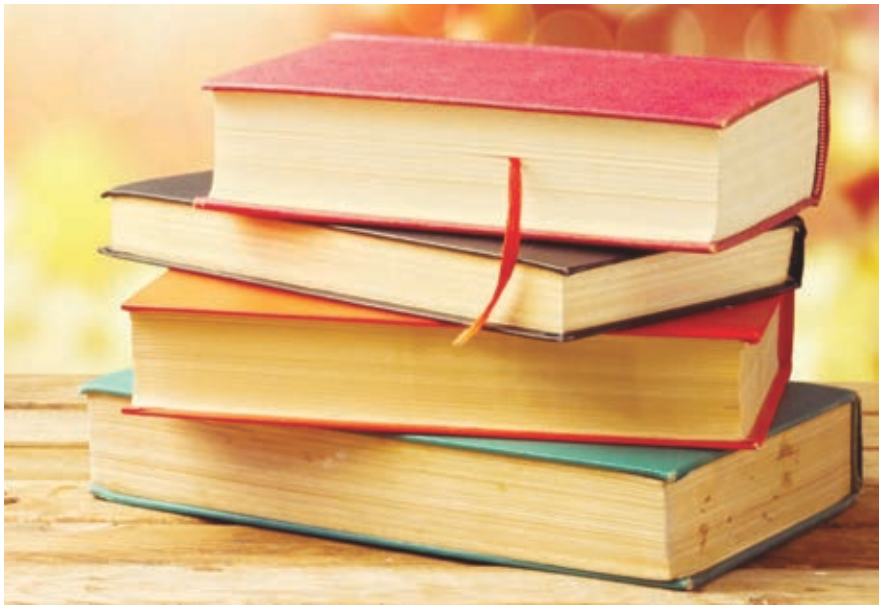

معنى القراءة الثانية للنصوص:

أولاً لا بد من معرفة أن المقصود بالنصوص هنا نصوص الكتاب والسُّنة، وليس غير ذلك مما يدخل في القراءات المتعددة، والتفسير الواسع لها، كالنصوص التاريخية أو الفلسفية أو الشعرية والأدبية، مما هو من صنع البشر ومن إنتاجهم المحض، ذلك أن الخطأ في هذا الميدان أو حتى العبث به -رغم رفضنا لأي نوع من أنواع العبث- يمكن أن يكون عدوانه محدوداً، ونتائجه السيئة محصورة، أما نصوص الكتاب وصحيح السُّنة فالأمر مختلف، إذ لها قواعدها وضوابطها وأصولها، والعبث في فهمها يؤدي إلى كوارث على كل المستويات.

المهم أن هذا التيار الذي ظهر في عصرنا الحاضر من مجموعات لا يعرف عنها التدين، أو الالتزام الإسلامي، أو التمسك بالشريعة، يريدون أن يقولوا في القرآن بهواهم، ويشرحوا السُّنة على أمزجتهم، ويبينوا العقائد كما يحلو لهم، وينشروا الفقه ويبينوه كما يروق لهم؛ فلا ثوابت، ولا قطعيات، بل ولا التزام باجتهادات.

ضوابط قراءة النصوص:

أجمع من يُعتد به من العلماء سلفاً وخلفاً أن قراءة النصوص الشرعية، وهو لون من ألوان الاجتهاد، لا بد أن يكون من خلال قواعد وأصول؛ دفعاً للزلل، وتجنباً للخطأ، وسيراً لبرامج الأمان، على طريق السلامة؛ لذا وضع العلماء مجموعة من الشروط لهذا الأمر، حتى لا نخرج عن جادة الصواب،

ونبقى ضمن مسار الرشد الذي أمرنا الله تعالى بالوصول له.

ومن هذه الشروط العلم باللغة العربية؛ فلا يمكن للمرء أن يقرأ نصوص القرآن والسُّنة وهو جاهل في اللغة العربية، فلا يعرف التمييز بين الاسم والفعل والحرف، ولا يدرك معاني البلاغة، وغير ذلك من علوم العربية ولو في الحد الأدنى من هذه العلوم، لأنها -كما وصفها العلماء- علوم آلة، فالقرآن الكريم كتاب نزل بلغة العرب، وهو معجز في فصاحته وبلاغته، والنبي صلى الله عليه وسلم أفصح من نطق بالضاد، كما دل على ذلك الاستقراء، فكيف يفهم هذان المصدران العظيمان بغير هذه اللغة، كمفردة من مفردات الشرط في الاستنباط من هذه النصوص، من هنا قال العلماء: لا ثقة بعلم من جهل اللغة.

يقول الشيخ حسن البنا -رحمه الله تعالى- في الأصل الثاني من الأصول العشرين: «والقرآن الكريم والسُّنة المطهرة مرجع كل مسلم في تعرف أحكام الإسلام، ويفهم القرآن طبقاً لقواعد اللغة العربية من غير تكلف ولا تعسف، ويرجع في فهم السُّنة المطهرة إلى رجال الحديث الثقات».

ووضع العلماء علم أصول الفقه، وسطروا بصحائف من نور علم مصطلح الحديث، وذكروا شروط الاجتهاد، واجتهدوا في هذا ما بين مضيق وموسع، لكنهم اتفقوا على الشروط من حيث الجملة، وما علم «علوم القرآن» الذي كتبت به نفائس الأسفار، وبينوا شروط المفسر لكتاب الله تعالى، عن الباحثين ببعيد.

من ثمار ذلك أن كان هذا التراث العظيم الذي أنتجته عقول علمائنا ومفكرينا، من الذكور والإناث عبر التاريخ، ومنها هذه التفاسير الكثيرة، وكذا شروح السُّنة، وكذلك المدارس الفقهية، وما أنتجت من دوحات علم يستظل بها المسلمون، وينهلون من معينها العظيم، لذا كان عندنا الأئمة أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، والليث، والسفيانان، والحسن، والبصري، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجة، والدارمي، والموصلي، والطبري، وابن كثير.. وغير هؤلاء من كبار العلماء الذين شكلوا ثقافة أمتنا مما استنبطوه من

القول بالتفسير الباطني للنصوص أدى إلى انتشار عقيدة الحلول وتأليه البشر وتناسخ الأرواح

قراءة النصوص الشرعية لا بد أن تكون من خلال قواعد وأصول دفعاً للزلل

الملحدون كانوا يهاجمون الإسلام جهاراً ثم اتبعوا أسلوباً جديداً وهو إظهار إيمانهم بالنصوص ثم تشكيكهم فيها

وضع ضوابط للاجتهاد ليس من باب احتكار العلم بل ضبطه واحترام الاختصاص

الكتاب والسُّنة، من أهل التجديد والاجتهاد، فكانت مئات التفاسير، وانتشرت شروح السُّنة، ونشأت المدارس الفقهية، المذهبية والمقارنة، وغير ذلك مما نعجز عن ذكر جملته في هذه العجالة، فكانت رحمة الأمة في اختلاف الأئمة، وهو إرث نفاخر به، ونعتز به، والقاعدة عندنا في نهاية المطاف «كل يؤخذ من كلامه ويرد عليه إلا صاحب هذا القبر -صلى الله عليه وسلم- فلا معصوم بعده»، وكل أحد يخضع لهذه القوانين.

الهدف من ظهور هذه الأفكار:

١- في السابق كان الملحدون يهاجمون عقائد الإسلام جهاراً نهاراً، وتصدى لهم الغيورون من أهل العلم، وأفشلوهم وأوقفوهم عند حدهم، ولما رأوا ذلك تغيروا، أو تغير بعضهم، إلى أسلوب جديد، وهو إظهار إيمانهم بالنصوص، ثم يقولون: من حقنا أن نقرأها بطريقة ثانية، لذا ترى هجمتهم شرسة على التفاسير كلها، ويزعمون أننا نريد أن نفسر القرآن كما يظهر لنا! ويهاجمون السُّنة هجوماً شرساً، ومن ذلك الهجمة العجيبة على صحيح البخاري، فلم يبقوا ولم يذروا على هذا الذي هو أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى، إذن هي حرب على قيم الإسلام وتعاليمه ومصادره ولكن باسمه!

٢- تعويد الأجيال على نقد نصوص الوحي، وإشعارهم بأن نصوص الوحي مثلها مثل نصوص البشر، كلها قابلة للأخذ والرد والنقد، وهذا يكون مقدمة للعدوان على ثوابت الدين وأصوله القطعية، ومن ثم كسر هيبتها الإيمانية لدى الناس، حتى يقع الفأس في الرأس.

٣- تحطيم مقولة «لا اجتهاد في مورد النص»، وتكسير مفهوم مصادر الشريعة والاعتماد عليها بطريقة العلماء على فهم السلف والخلف، ويلوكون مقولات ظاهرها الرحمة، وباطنها من قبلها العذاب.

٤- الدعوة إلى التحلل من تكاليف الشريعة، بهذه التفاسير المعوجة، والأساليب الزائغة، وهذا الذي يهدفون إليه في نهاية المطاف.

وهنا نحب أن نؤكد جملة من المعاني:

١- نعم للاجتهاد، سواء الاجتهاد الترجيحي في المختلف فيه، أو الذي يقع في دائرة «النوازل» والمستجدات المعاصرة، ولكن من المؤهلين له، وهذا ليس من باب احتكار العلم، وليس من باب الكهنوت، كلا.. فالأمر غير ذلك، بل هو من باب ضبطه بضوابطه الصحيحة، ومن باب احترام الاختصاص، وهو مجال تنافسي، يتقدم فيه من هو أجدر بالمهمة.

٢- كما نؤكد أن الاجتهاد في الوسائل، والإلمام بفقه الوقت، ومجريات الواقع، ومعرفة لوازم العصر في عالم النظم، وتطوير هذا ليستوعب في إطار الدعوة إلى الله، يعتبر من ضروريات العمل الإسلامي.

٣- نريد الانضباط حسماً لمادة الفوضى، ونشجع على الإبداع بكل صوره وأشكاله وألوانه، فهو من سبل النجاح.

٤- قد يقول قائل: نرى بعض هذه الأفكار يرددها «معمّمون» أحياناً، وكذا نلاحظ بعض الذين يعتلون المنابر ينادون بهذه الأفكار ذاتها، أقول لهم: إن خيطاً ما يربط بين الطرفين، والأيام القادمات كفيلات بكشف كثير من المستور.■

العنصر الإيماني في روايات الواقعية التاريخية

لا شك أنني وجدت في الرواية التاريخية فضاء يختلف عن واقع الفضاء العربي الإسلامي المهزوم، ففضاء التاريخ يحوي انتصارات وبطولات وفيه أيضاً معادلات للواقع البائس الذي تعيشه الأمة من هزائم وانكسارات وخيانات، ولعل هذا كان من وراء تخصيصي لدراسة طويلة قبل ربع قرن أو يزيد، وطُبعت عدة طبعات؛ تتناول الرواية التاريخية تناولاً تطبيقياً.

أ. د. حلمي محمد القاعود
أستاذ الأدب والنقد

قسمت في هذه الدراسة الرواية التاريخية إلى ثلاثة أقسام: رواية التعليم كما قدمها جرجي زيدان ومن سبقوه وبعض من لحقوه، ورواية النضج التي صاغها روائيون يملكون تقاليد الفن الروائي وأسسه المتطورة، كما نراها عند كثيرين من أمثال علي أحمد باكثير، ومحمد فريد أبو حديد، ومحمد عبدالحليم عبدالله، وعبدالحميد جودة السحار.. وغيرهم، ثم رواية الاستدعاء التي تستدعي التاريخ إلى الواقع المعاصر ليكون في خلفية الأحداث الراهنة، وقدمت نماذج لنجيب محفوظ، ونجيب الكيلاني، ومحمد جبريل.

في قراءتي لنجيب الكيلاني (١٩٣١ - ١٩٩٥م)، الذي تناولت رواياته من قبل في عديد من الدراسات الطويلة والقصيرة، أبرزها «الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني»، رأيت أن الرواية التاريخية لديه تحتاج إلى جهد دراسي يضاف إلى ما سبق أن تناولته من قبل.

فالرواية التاريخية لدى الكيلاني تمثل إنجازاً فنياً جميلاً يفرضه واقع الأمة في جهادها ضد أعدائها الأقوياء؛ متمثلين في الغزاة الأجانب الذين يهدفون إلى طمس الهوية الإسلامية وتحقيرها وازدرائها، ونهب ثرواتها وخيراتها، وفتحها سوقاً يصدرون إليها منتجاتهم وبضائعهم، ويمتد هذا الإنجاز إلى مواجهة الحكام المستبدين الذين يحرمون شعوبهم الحرية والكرامة ويتضامنون مع الأعداء الخارجيين بصورة مباشرة، أو يتيحون لهم بقصورهم وفشلهم فرصة تحقيق أطماعهم وأهدافهم الشريرة.

ثم تحرز الرواية التاريخية لدى الكيلاني هدفاً حاسماً ضد بعض النخب أو الأشخاص الذين يفضلون الخيانة وطعن الوطن في ظهره إرضاء للأعداء وخصوم الإسلام والمستبدين الطغاة، وهؤلاء موجودون في كل زمان ومكان، وقد بدا وجودهم كثيفاً في العصر الحديث، وهو ما دفع نجيب الكيلاني لاستخدام التاريخ والدخول من خلاله إلى قضايا مهمة وخطيرة تمس واقع الأمة وتؤثر فيه.

ومن ثم فقد ركز نجيب الكيلاني على جلاء مسيرة الدعوة الإسلامية وما واجهته من صعاب وعقبات، وأبرز دور اليهود في التآمر على الإسلام والمسلمين، وخيانتهم للعهود ونقضهم للمواثيق، ولم ينسَ أن يقدم نماذج يهودية حكّمت فطرتها وعقلها فانحازت إلى الإسلام ونعمت بالعيش في رحابه، ونماذج أخرى لم تكن مخلصة، وآثرت الهوى، فعاشت في حمأة النفاق، تُظهر الإسلام وتبطن الكفر، وهي من أشد النماذج خطورة، على نفسها وعلى غيرها، وقد خصص الكيلاني روايات كاملة لمعالجة السلوك اليهودي وتجلياته البشعة، مثل: «على أبواب خيبر»، «حارة اليهود»، «أرض الأنبياء»، «عمر يظهر في القدس».

ثم كانت وقائع التاريخ الحديث ملحّة على نجيب الكيلاني، فتناول الحملة الفرنسية على مصر أواخر القرن الثامن عشر، وحملة «فريزر» التي تلقى فيها هزيمة ساحقة في رشيد، وثورة عام ١٩١٩م التي واجه فيها الشعب المصري ضراوة الاحتلال الإنجليزي، وفي سياق هذه الروايات نعثر على نماذج أجنبية -أرمن ويهود وإنجليز وغيرهم- يعيشون بين المصريين ويعملون ويغتنون، وينعمون بالأمن والمودة، ولكنهم في الغالب يعضون اليد التي أحسنت إليهم، ويظهرون تعصبهم لمعتقداتهم وعنصريتهم، وينزلق أغلبهم إلى قاع الخيانة والعار.

في مختلف الروايات التاريخية التي كتبها الكيلاني يظهر العنصر الإيماني قوياً وساطعاً في مواجهة خصوم الإسلام والمتآمرين عليه، والغزاة الذين يستبيحون بلاد المسلمين، ويوظف الكيلاني هذا العنصر توظيفاً فنياً جيداً دون افتعال أو تكلف، ويفيد من الآيات القرآنية الكريمة والحديث النبوي الشريف، والأقوال المأثورة والشعر؛ إفادة ممتدة في رواياته جميعاً، حيث تأتي الإفادة داعمة ومساندة للسرد، بل تتحول إلى حالة عضوية لا تستشعر بعدها عن السياق أو إقحامها فيه.

العنصر الإيماني في الجهاد والفتح

الرواية التاريخية لدى الكيلاني تمثل إنجازاً فنياً يفرضه واقع الأمة في جهادها ضد أعدائها

الكيلاني يوظف العنصر الإيماني توظيفاً فنياً دون تكلف يفيد من الآيات القرآنية والحديث النبوي

والمقاومة لدى الكيلاني يمنح رواياته التصور الإسلامي عند مواجهة أعداء الدين والأوطان، والتصور الإسلامي هو الرؤية الإسلامية للكون والحياة، ويختلف عن التاريخ الإسلامي وأحداثه، التي يعتقد بعض الناس أنها المقصود بالأدب الإسلامي، فالتاريخ أحداث ووقائع قد تكون قائمة على التصور الإسلامي أو بعيدة عنه، أما التصور الإسلامي فهو الرؤية والفكرة التي ينظر بها الشخص إلى ما حوله، وإلى الماضي وتفسيره له.

والعنصر الإيماني هو الذي يعضد العنصر الخلقي في الأدب والفن، ويجعله ضرورياً لكل أدب رفيع، عكس ما يقوله الذين يلقون بالعنصر الخلقي وراء ظهورهم، لقد أكدّ «أوسكار وايلد» الرسالة الخلقية للفن بالمعنى الواسع، وتعني هذه الرسالة لديه: مساعدتنا على فهم الحياة، وقد آمن بهذه الرسالة «أفلاطون»، و«أرسطو» من قبل، ثم «مونتاني»، و«موليير» من الفرنسيين، و«بن جونسون»، و«دكتور جونسون» من الإنجليز. (انظر: محمود حامد شوكت، مقومات القصة العربية الحديثة في مصر، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٤م ص ١٤).

دموع الأمير

تجدر الإشارة إلى أن نجيب الكيلاني أفاد من التاريخ الإسلامي في كتابة القصة القصيرة بشروطها الفنية، فأصدر مجموعة تحمل اسم «دموع الأمير»، ضمنها عدداً من القصص التاريخية؛ تغطي مساحة مكانية عريضة وفترة زمنية واسعة؛ فأحداثها تغطي الجزيرة العربية والعراق والشام ومصر، وتبدأ من عصر النبوة مروراً بالصراع مع الصليبيين والتتار حتى العصر الحديث وانهيار دولة الخلافة العثمانية ومقاومة الاستعمار الفرنسي في الجزائر.

تضم المجموعة اثنتي عشرة قصة، هي: «دموع الأمير»، «القلب الكبير»، «الإمام الأعظم»، «أبو معزي»، «صانع الرجال»، «العرش المحطم»، «ابن سبيل»، «أبو خيثمة»، «سلطان العلماء»، «واحسيناه»، «على أبواب دمشق»، «رجل في المنفى».

ويقدم الكيلاني للمجموعة مستعيداً ما

كتبه في مكان آخر حول القصص التاريخي الإسلامي، ويشير إلى أن هذه المجموعة تكاد تكون الأولى من نوعها في قصصنا الحديث، وأظن أن علي أحمد باكثير قد سبق إلى كتابة هذا النوع، وأكثر منه في صياغة مسرحيات من فصل واحد، نَشر كثيراً منها في الأربعينيات والخمسينيات، وقد أعيد نشر معظمها في العقدين الأخيرين بمجلة «الأدب الإسلامي» الفصلية.

ويشير الكيلاني إلى أنه حاول جاهداً أن يحافظ على مفهوم القصة القصيرة الحديثة، إلى جانب تضمينها أحداثاً تاريخية مهمة، ويذكر أنه سبق أن قرر أن «الواقع التاريخي» لا يقل روعة أو أهمية عن الواقع الحاضر، فكلاهما مادة للقصاص يستطيع أن يضمنها ما يراه. (انظر: نجيب الكيلاني، دموع الأمير، مؤسسة الرسالة، ط٣، بيروت، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥م).

وفي تصوري أن هذه القصص يمكن أن تكون مشروعات لروايات طويلة مثل «نور الله»، و«حارة اليهود»، و«أرض الأنبياء» وغيرها، وعلى سبيل المثال؛ فقصة «دموع الأمير» التي تحمل اسم المجموعة تتناول نظام الولاة في عهد بني أمية من خلال هشام بن إسماعيل المخزومي، والي المدينة، الذي كان أداة في أيديهم لإرهاب مناوئيهم وقمع مخالفيهم واستخدام أساليب القوة والترهيب والترويع ضدهم بكل فظاظة ووحشية.

توسيع الفكرة

صحيح أن الكيلا القصيرة في التقاط اللحظات المناسبة للقصة القصيرة، ولكن الفكرة نفسها يمكن أن تتسع وتصل إلى موضوع روائي ناجح.

وينطبق الأمر ذاته على بقية القصص التي تضمها المجموعة؛ مثلاً فكرة الظلم والعدل والرحمة في قصة «القلب الكبير» التي تروي طرفاً من حياة الزاهد عبدالله بن المبارك، يمكن أن تتحول إلى عمل روائي ضخم خاصة أن حياة ابن المبارك حافلة بالقصص والمواقف التي تصنع عملاً روائياً مهماً.. وهكذا بقية القصص.

ويبدو أن الثروة التي كانت في حوزة الكيلاني من موضوعات تاريخية كانت كبيرة، إلى جانب موضوعات أخرى كثيرة لم يستطع أن يتناولها في حياته التي لم تتجاوز الستين إلا قليلاً.

ومهما يكن من أمر؛ فإن خبرة الكيلاني الفنيّة استطاعت أن تقدم لنا سياقاً جميلاً للرواية التاريخية الواقعية؛ نراه في توظيف العناصر الروائية المختلفة من فكرة وزمان ومكان وبناء وشخصيات ووسائط؛ لتقديم سرد متميز يضيء الفكرة ويقدمها في إطار شائق وجذاب.

إن الوقوف عند النماذج الجيدة في أدبنا الحديث، وتناولها بالدرس والبحث والتحليل أضحى أمراً ضرورياً، ليتعرف القارئ إليها، بعد أن سادت العملة الرديئة حياتنا الأدبية والثقافية، وأصبح القصور الفني والجهل بأوليات الكتابة لا يثير امتعاضاً لدى من يتصدرون المشهد الأدبي والثقافي، بل يجد ألواناً من التشجيع تصنعها الدعاية الفجّة، والآلة الإعلامية الطائشة التي يحركها من لا يعنيهم أمر الأدب أو الثقافة، أو الفكر الناضج والمنطق العلمي.■

أعلام رحلوا في فبراير

البنا والرشيد والزهاوي

يحتاج العلم إلى قلوب نقية ليتفاعل معها ويدفعها لإحداث تغيير جوهري بين الناس، وهكذا العلماء والمصلحون الذين فهموا معنى دينهم الحقيقي، واستفادوا مما علموا، وانطلقوا لإحداث التغيير الذي أرسى رسول الله صلى الله وسلم قواعده. وفي هذا الشهر (فبراير)، نلقي الضوء على حياة بعض من رحلوا فيه؛ وفاء لذكراهم وعرفاناً بفضلهم.

إعداد - عبده دسوقي:
باحث في التاريخ الحديث

حسن البنا.. المُجدّد

في هذا الشهر (فبراير) تحل علينا ذكرى رحيل حسن البنا، الذي رغم مرور ٧٠ عاماً على رحيله، فإن بصماته وفكره ما زالا متوارثين بين الناس، بعدما أحدث جدلاً وزخماً بين العلماء والباحثين؛ لما تركه من أفكار حركية وجدت من يحملها ويتحرك بها بمعظم دول العالم في انتشار أفقي ورأسي بكل مجتمع تحط به رحالها.

ولد حسن أحمد عبدالرحمن البنا في ضحى يوم الأحد ٢٥ شعبان ١٣٢٤هـ الموافق ١٤ أكتوبر ١٩٠٦م، بالمحمودية في محافظة البحيرة بمصر.

حرص والده الشيخ عبدالرحمن الساعاتي على غرس روح الرجولة فيه منذ الصغر، كما حرص على أن ينشأ نشأة إسلامية حقيقية؛ فعهد به إلى الشيخ محمد زهران، ليتم على يده حفظ القرآن الكريم.

وضع حسن البنا نُصب عينيه منذ الصغر أن يكون مرشداً ومعلماً، حيث قضى في تعليم الأبناء سحابة النهار ومعظم العام، وقضى الليل في تعليم الآباء أمور دينهم.

حرص على أن يكون مبادراً وإيجابياً في النهي عن المنكر والأمر بالمعروف، فألّف مع بعض أصدقائه جمعية «الأخلاق الأدبية»، وجمعية «منع المحرمات»، قبل أن ينتقل إلى كلية دار العلوم وتزداد غيرته على دينه حتى تكون سبباً في إصدار صحيفة «الفتح» لتدافع عن الإسلام، وبدأ يرتاد المقاهي لينشر فكرته بين روادها.

لقد ترجم حسن البنا كلمات صديقه الأستاذ محمد الشرنوبي الذي قال له: «إن الرجل الصالح يترك أثراً في كل مكان ينزل فيه»، فترك البنا بصمات في كل نفس عرفها، وتعامل معها، وألّف جماعة اتسع نطاقها في البلاد المختلفة، تدعو إلى الفهم السديد للإسلام وتناهز عنه[1].

اهتم البنا بقضايا وطنه وأمته، فعمد إلى الإصلاح من منطلق إسلامي؛ فغيّر الصورة النمطية للإسلام التي حصرته في المساجد وبين الكتب، حيث جعله إسلاماً حياً وعملياً، وألّف الرجال الذين جابهوا المستعمر على كل أرض احتلها الغرب، ولم ينسَ فلسطين التي أصبحت من قضاياه المهمة؛ فدفع بالرجال الذين سطروا أروع الأمثلة للمجاهدين في حرب فلسطين عام ١٩٤٨م.

بعدما أحدث من تغيير وحراك وطني، شهد به الجميع، اجتمعت قوى الاستعمار على ضرورة التخلص من حسن البنا؛ فتم اغتياله في ليلة ظلماء أمام جمعية الشبان المسلمين بشارع رمسيس في القاهرة، يوم ١٢ فبراير ١٩٤٩م[2]. ■

وضع نُصب عينيه أن يكون مُعلماً فقضى النهار في تعليم الأبناء والليل في تعليم الآباء

نهال الزهاوي.. المرأة المجاهدة

في كل عصر تزاحم النساء الرجال في العمل لدين الله سبحانه بما شرعه الله لها من وسائل، وهذا ما جعل نهال الزهاوي تحمل عبء العمل لدين الله سبحانه في وقت انتشرت الشيوعية والرذيلة، وعمد الاستعمار إلى طمس الهوية الإسلامية في المجتمع العراقي، فسخر الله لدينه من يدافع عنه أمثال الشيخ أمجد الزهاوي، الذي حرص على حسن تربية أولاده ليكونوا دعامة قوية بالدفاع عن الإسلام في وطنهم.

ولدت نهال أمجد الزهاوي ببغداد في ديسمبر ١٩١٤م، وكانت البنت الوحيدة لوالدها من بين ثلاثة إخوة ذكور، ولأسرة كان العلم نبراساً لها.

حرص والدها على تربيتها التربية

عبدالعزيز الرشيد.. وتدوين تاريخ الكويت

**على كل أرض تركنا علامة
قلاعاً من النور تحمي الكرامة**

بهذه المعاني التي حملتها القلوب جيلاً بعد جيل، أخرجت دولة الكويت علماء تركوا بصمات عظيمة، وخلفوا سيراً جليلة بين الناس، وجعلوها تاريخاً يسطره الباحثون، ولا يستطيع أحد أن يتغافله.

وفي مثل هذا الشهر (فبراير)، رحل الشيخ عبدالعزيز بن أحمد الرشيد البداح الذي ولد عام ١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م في منطقة الزلفي بالسعودية قبل أن يهاجر إلى دولة الكويت بسبب ما حل بهم من قحط.

تلقى الشيخ مبادئ القراءة والكتابة في الكويت، وحفظ القرآن الكريم على يدي الشيخ الملا زكريا الأنصاري، قبل أن ينهل العلم من علماء الإحساء والزبير بالعراق على يدي الشيخ محمود شكري الآلوسي، والشيخ علاء الدين الآلوسي، حيث بحث في مسائل الحجاب ومشروعيته، فحمل على عاتقه الدفاع عنه ومحاربة السفور ودعاته، وقام بتأليف كتابه الأول «تحذير المسلمين عن

حملت الدعوة على عاتقها بالعراق وأسست جمعية «الأخت المسلمة»

الصحيحة، وتلقيها الفهم الواسع للإسلام وهو ما أدركته منذ صغرها، فأخذت تنهل من هذا العلم وهذه التربية التي حرصت على غرسها في أولادها بعد ذلك لتخريج جيل مسلم.

دخلت روضة الأطفال في الموصل عام ١٩١٩م قبل أن تتخرج في دار المعلمات ببغداد عام ١٩٣٠م، لتستكمل تعليمها على يدي والدها[٥].

حملت الدعوة على عاتقها منذ أن عاد الأستاذ محمد الصواف إلى العراق، وتشجعت مع غيرها من نساء العراق فأسسن جمعية «الأخت المسلمة» عام ١٩٥١م، ولم يكن لهن مقر يجمعهن في البداية، فاتخذن من بيوتهن ومن بيت نهال الزهاوي -خاصة- مراكز تعليمية قبل أن يتخذن مقراً كبيراً لهن.

ساهم الفرع النسائي بزيادة الوعي الإسلامي في أوساط الفتيات من خلال دروسه وأنشطته، ومن خلال ما كانت تكتبه الأخوات في مجلة «الأخوة الإسلامية»، أبرزهن رئيسة الفرع النسائي نهال الزهاوي، وعلى الرغم من المضايقات التي واجهتها من الشيوعيين في العراق، فإنها ظلت صابرة عاملة من أجل دينها[٦].

كانت ملاذاً للمحتاجين والضعفاء، ولطلاب العلم الشرعي والإفتاء، وظلت تعمل في جمعية «الأخت المسلمة» حتى كبر سنها، وزاد المرض عليها، لكنها ظلت على اتصال بالجمعية؛ حتى انتقلت إلى جوار ربها في ساعة مبكرة من صباح يوم الخميس ٨ محرم الموافق ١٧ فبراير ٢٠٠٥م.■

اختير في أول مجلس شورى كويتي وألّف «تاريخ الكويت» وأصدر أول مجلة بالخليج

اتباع غير سبيل المؤمنين» عام ١٩١١م[٢].

كان الشيخ مولعاً بالسفر، فعمل بالتجارة مع والده، وسافر إلى العراق وإندونيسيا ودول القوقاز وسنغافورة وغيرها.

عاد الشيخ للكويت، وعمل ناظراً للمدرسة المباركية عام ١٩١٧م لمدة عامين؛ حيث أدخل بعض المواد في الدراسة مثل الجغرافيا واللغة الإنجليزية التي كانت قد منعت من قبل، لكنه وجد صعوبات في إرجاعها؛ وهو ما دفعه لإنشاء المدرسة الأحمدية عام ١٩٢١م وأدخل اللغة الإنجليزية بها.

في عام ١٩٢١م اختير في أول مجلس شورى بالكويت، إلا أن اهتمامه انصب على فكرة التدوين؛ فقام بتأليف كتاب «تاريخ الكويت» عام ١٩٢٦م.

عينه ولي العهد -آنذاك- الشيخ أحمد الجابر الصباح واعظاً في مجلسه العام وأدناه منه، حيث حرص على التعاون مع أرباب نهضة الكويت أمثال الشيخ يوسف بن عيسى القناعي، والشاعر صقر الشبيب.

أصدر أول مجلة في الخليج بدولة الكويت، كان اسمها «مجلة الكويت» وذلك عام ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٩م، حيث تولى الشيخ يوسف بن علي القناعي أمر المراقبة على المجلة، التي كانت شهرية، وطبعت في البداية بالبصرة، وكانت قريبة من مجلة «المنار» المصرية؛ حيث هدفت إلى نشر الإصلاح والقضاء على التخلف في العالم العربي والإسلامي، وظلت تصدر حتى توقفت لهجرة صاحبها إلى إندونيسيا عام ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م[٤].

ما إن وصل إلى جاوة بإندونيسيا حتى أصدر مجلة جديدة بعنوان «الكويتي والعراقي» عام ١٩٣١م، وتوقفت في ٢٥ يناير ١٩٣٣م، وتعرض لمحاولة اغتيال بإندونيسيا.

ظل يتنقل بين الكويت وإندونيسيا ينشر العلم ويحارب التنصير الذي انتشر في إندونيسيا حتى توفي بجاكرتا في ٣ ذي الحجة ١٣٥٦هـ الموافق ٣ فبراير ١٩٣٨م، ودفن في مقبرة العرب.■

الهوامش

(١) حسن البنا: مذكرات الدعوة والداعية، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ٢٠٠٠م، ص ٦٠- ٦٩.

(٢) محسن محمد: من قتل حسن البنا، دار الشروق، مصر، ١٩٨٧م، ص ٤٧٩ وما بعدها.

(٣) يعقوب يوسف الحجي: الشيخ عبدالعزيز الرشيد: سيرة حياته، مركز البحوث والدراسات الكويتية، ١٩٩٣م، ص ١٠ وما بعدها.

(٤) فؤاد صالح السيد: أعظم الأحداث المعاصرة (١٩٠٠ - ٢٠١٤م)، الطبعة الأولى، مكتبة حسن العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ص ١٧٠.

(٥) إخوان ويكي: السيدة نهال الزهاوي، https://bit.ly/٢R٣Pefo

(٦) محسن عبدالحميد: الإخوان المسلمون في العراق (١٩٤٥م - ٢٠٠٣م)، ط١، دار المأمون للنشر والتوزيع، ٢٠١١م، ص ١٤٠.

حسن البنا.. ورؤيته في البناء الاقتصادي

يشهد هذا الشهر (فبراير) وبالتحديد في الثاني عشر منه مرور ٧٠ عاماً على استشهاد الأستاذ حسن البنا، حيث طرح رؤيته الشاملة للإسلام التي ترتكز على بناء الإنسان اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً.. فقد كان البنا دقيقاً (في رسالة التعاليم) حينما وصف الإسلام بأنه: «نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعاً؛ فهو دولة ووطن أو حكومة وأمة، وهو خلق وقوة أو رحمة وعدالة، وهو ثقافة وقانون أو علم وقضاء، وهو مادة أو كسب وغنى، وهو جهاد ودعوة أو جيش وفكرة، كما هو عقيدة صادقة وعبادة صحيحة سواء بسواء»؛ فجعل من شمولية النظام الإسلامي ما يحتويه من نظام اقتصادي وما يتضمنه هذا النظام من مادة أو كسب وغنى.

الاقتصاد جزء أساسي من رؤيته الإسلامية الشاملة التي تميز بها سواء بـ«الإخوان» أم بإصلاح المجتمع

د. أشرف دوابه
خبير اقتصادي

وصف الأستاذ البنا (في رسالة المؤتمر الخامس) جماعة الإخوان المسلمين بأنها «شركة اقتصادية»، وذكر في تبريره لهذا الوصف بأن الإسلام يعنى بتدبير المال وكسبه من وجهه، وهو الذي يقول نبيه صلى الله عليه وسلم: «نعم المال الصالح للرجل الصالح» (رواه أحمد)، ويقول: «من أمسى كالاً من عمل يده أمسى مغفوراً له» (رواه الطبراني)، وقال: «إن الله يحب المؤمن المحترف» (رواه الطبراني).

فالاقتصاد جزء أساسي من الرؤية الشاملة التي تميز بها حسن البنا سواء تعلق هذا بالبناء الاقتصادي لجماعة الإخوان التي أسسها عام ١٩٢٨م أو إصلاح المجتمع المصري اقتصادياً؛ حيث حرص على بناء الإنسان الاقتصادي الصالح، وبناء المؤسسات، فضلاً عن توجيه النصح بصورة قوامها ربط التنظير بالتطبيق لتحقيق الإصلاح الاقتصادي للدولة.

بناء الإنسان الاقتصادي

فقد ظهرت رؤيته في البناء الاقتصادي عند البنا من خلال حرصه على بناء الإنسان الاقتصادي الصالح باعتباره هو الذي يصنع الثروة، ولا تصنعه الثروة، وقد بين ذلك بوضوح في رسالة «التعاليم»، حيث جعل نحو ربع واجبات الأخ العامل (التي يبلغ إجمالها ٣٨ واجباً) واجبات اقتصادية، ممثلة فيما يلي:

١- أن يزاول عملاً اقتصادياً مهما كان غنياً، وأن يقدم العمل الحر مهما كان ضئيلاً، وأن يزج بنفسه فيه مهما كانت مواهبه العملية.

٢- ألا يحرص على الوظيفة الحكومية، وأن يعتبرها أضيق أبواب الرزق، ولا يرفضها إذا أتيحت له، ولا يتخلَّ عنها إلا إذا تعارضت تعارضاً تاماً مع واجبات الدعوة.

٣- أن يحرص كل الحرص على أداء مهنته من حيث الإجادة والإتقان وعدم الغش وضبط الموعد.

٤- أن يكون حسن التقاضي لحقّه، وأن يؤدي حقوق الناس كاملة غير منقوصة بدون طلب، ولا يماطل أبداً.

٥- أن يبتعد عن الميسر بكل أنواعه مهما كان المقصد من ورائها، ويتجنب وسائل الكسب الحرام مهما كان وراءها من ربح عاجل.

٦- أن يبتعد عن الربا في جميع المعاملات وأن يطهر منه تماماً.

٧- أن يخدم الثروة الإسلامية العامة بتشجيع المصنوعات والمنشآت الاقتصادية الإسلامية، وأن يحرص على القرش (المال)؛ فلا يقع في يد غير إسلامية مهما كانت الأحوال، ولا يلبس ولا يأكل إلا من صنع وطنه الإسلامي.

٨- أن يشترك في الدعوة بجزء من ماله، ويؤدي الزكاة الواجبة فيه، وأن يجعل منه حقاً معلوماً للسائل والمحروم مهما كان دخله ضئيلاً.

٩- أن يدخر للطوارئ جزءاً من دخله مهما قل، وألا يتورط في الكماليات أبداً.

بناء المؤسسات

ولم تقف كلمات البنا عند الإرشاد، بل إلى صورة عملية في تحويل ما يؤمن به نظرياً إلى واقع عملي في الميدان الاقتصادي من خلال بناء المؤسسات، وقد اعتمد البنا في بناء مؤسسات جماعة الإخوان المسلمين على أموال الجماعة لقيامها بنشاطها وتحقيق أهدافها، وتناول ذلك تفصيلاً في رسالة «هل نحن قوم عمليون؟»، حيث تناول مشاريعها ومؤسساتها العامة النافعة؛ من مساجد، ومدارس، ولجان خير وبر، ودروس ومحاضرات وخطب وعظات، ولجان متطوعة للإشراف على المرافق العامة في القرى من ترميم المساجد وتنظيف الشوارع وإضاءة الطرقات والسعي في إيجاد المشافي المتنقلة، ولجان إحياء السنن والفرائض التي نسيها الناس بالعمل لا بالقول؛ كجمع زكاة الحبوب في مخزن خاص وتوزيعها بمعرفة الجماعة على المستحقين دون محاباة ولا تحيز.

كما قدم نموذجاً عملياً للاستثمار الإسلامي بعيداً عن الربا، بإقامة مشروعات استثمارية في مجالات متعددة، ومن أهم هذه المشروعات شركة المعاملات الإسلامية، والشركة العربية للمناجم والمحاجر، وشركة الغزل والنسيج، وشركة الإخوان للصحافة، وشركة الإخوان للطباعة، وشركة التجارة والأشغال الهندسية، وشركة التوكيلات التجارية، وشركة الإعلانات العربية.

ولم يقتصر إنشاء الشركات على شركات الجماعة، بل انتشرت الشركات التي يملكها أعضاء جماعة الإخوان في كافة أنحاء مصر، وقد تعرضت كل هذه الشركات للمصادرة الحكومية بعد حل الجماعة، وتم إجهاض نهضة اقتصادية ملموسة قدرت أصولها وقت صدور الأمر العسكري رقم (٦٣ لسنة ١٩٤٨م) بحل جماعة الإخوان بنحو ٦٠ مليون جنيه مصري، وهو ما يتجاوز مبلغ ٤ مليارات جنيه مصري بالأسعار الحالية.

الإصلاح الاقتصادي للدول

توجه البنا برؤيته الشاملة المعهودة

بالنصح والإرشاد لإصلاح الدولة اقتصادياً حتى لا تظل أسيرة لغيرها وتلبي حاجتها وتمتلك كلمتها، فذكر في رسالة «مشكلاتنا الداخلية في ضوء النظام الإسلامي.. النظام الاقتصادي» حتمية الإصلاح السياسي لتحقيق الإصلاح الاقتصادي، باعتبار أن الأول أصل وما عداه تابع له، مستشهداً بحديث النبي صلى الله عليه وسلم: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب» (متفق عليه)؛ حيث أكد أن الحكومة هي قلب الإصلاح الاجتماعي كله، فإذا فسدت أوضاعها فسد الأمر كله، وإذا صلحت صلح الأمر كله.

رؤيته المميزة في البناء الاقتصادي ظهرت من حرصه على إعداد الإنسان باعتباره صانع الثروة

.. ولم تقف عند الإرشاد النظري بل ظهرت في تحويله إلى واقع عملي بالميدان الاقتصادي

قدم نموذجاً عملياً للاستثمار الإسلامي بعيداً عن الربا بإقامة مشروعات استثمارية في مجالات متعددة

وكشف عن المعضلات الاقتصادية الثلاث بمصر؛ ممثلة في الفساد الاقتصادي، والتفاوت الطبقي، والتخبط الاقتصادي، موضحاً هذا التخبط باتباع نظم اقتصادية وضعية نبتت في غير أرضنا لأوضاع غير أوضاعنا، ومجتمعات فيها غير ما في مجتمعنا.

ودعا إلى الأخذ بالنظام الاقتصادي الإسلامي؛ ذلك النظام الكامل الذي يؤدي إلى الإصلاح الشامل في توجيهات الإسلام الحنيف، الذي وضع للاقتصاد قواعد كلية أساسية لو علمناها وطبقناها تطبيقاً سليماً؛ لانحلت مشكلاتنا، ولظفرنا بكل ما في هذه النظم من حسنات، وتجنبنا كل ما فيها من سيئات، وعرفنا كيف يرتفع مستوى المعيشة وتستريح كل الطبقات، ووجدنا أقرب الطرق إلى الحياة الطيبة.

وقد حدد البنا محاور الإصلاح الاقتصادي في إصلاح السياسة النقدية والمالية والهيكلية؛ ففي إصلاح السياسة النقدية طالب بوجوب استقلال النقد، والاعتماد على رصيد ثابت من مواردنا ومن ذهبنا، لا على أذونات الخزانة الأجنبية،

منتقداً ضعف الرقابة على النقد، والاستهانة بأمره استهانة بلغت حد الاستهتار، وما نتج عن هذه المآسي التي نصطلي بنارها من التضخم الذي استتبع غلاء المعيشة، وصعوبة الاستيراد والتصدير.

وفي إصلاح السياسة المالية، طالب بأهمية ترشيد الإنفاق وتنظيم الضرائب، مبيناً أن روح الإسلام توجب علينا في تشريعه الاقتصادي أن نبادر بتنظيم الضرائب الاجتماعية، وأولها الزكاة، وليس في الدنيا تشريع فرض الضريبة على رأس المال لا على الربح وحده كالإسلام، وذلك لحكم جليلة، منها: محاربة الكنز وحبس الأموال عن التداول؛ فلا بد من العناية بفرض ضرائب اجتماعية على النظام التصاعدي -بحسب المال لا بحسب الربح- يعفى منها الفقراء طبعاً، وتجبى من الأغنياء الموسرين، وتنفق في رفع مستوى المعيشة بكل الوسائل المستطاعة.

ومن لطائف سيدنا عُمر رضي الله عنه، أنه كان يفرض ضرائب ثقيلة على العنب لأنه فاكهة الأغنياء، وضريبة قليلة لا تُذكر على التمر لأنه طعام الفقراء؛ فكان أول من لاحظ هذا المعنى الاجتماعي في الحكام والأمراء رضي الله عنه.

ولعل ما يميز البنا في الجانب الاقتصادي أنه أول من لفت النظر لميلاد بنوك إسلامية، ووضع حلولاً عملية لآفة الربا، وتناول ذلك في مجلة «النذير» عام ١٩٣٩م، حيث بين أنه من الممكن والميسر أن يعالج النظام الاقتصادي العام علاجاً يشفيه من داء الربا، كما تخلص العالم بفضل الإسلام من نظام الاسترقاق الذي كان ينظر إليه كضرورة بشرية في عرف الإنسان.

وذكر أن «الإسلام وضع علاج ذلك بالزكاة، ولأمر اقترن الربا بالزكاة في كثير من الآيات القرآنية، فليؤخذ من مال الزكاة وصندوقها ما يغني المقرضين عن الربا»، كما ذكر علاجاً فنياً آخر يراه بعض الاقتصاديين بقوله: «ذلك أن المهيمن على السوق الاقتصادية في نظامنا الحديث؛ المصارف المالية، وهي التي تعتمد أكثر ما تعتمد على الفوائد إيداعاً وإقراضاً، وفي وسع هذه المصارف أن توظف معظم ودائع العملاء في الأسهم، فتستفيد وتفيد، وتربح لنفسها ولعملائها وتقاسمهم هذا الربح، وتفيد السوق الاقتصادية فائدة جمة، وتستطيع المصارف أن تجد من أبواب الإيراد، وخدمة الاقتصاد ما لا يقع تحت حصر لتوظيف الأموال في التجارة والصناعة، والعمولة والوساطة في بيع المحاصيل، وبيع العملة الأجنبية، وصرف الشيكات، وتأجير الخزن، وحفظ الودائع وغيرها، وهذا من حيث إفادة نفسها وعملائها، ومن حيث الإقراض للمحتاجين للمال؛ ففي وسعها أن تتخذ لهذا الإقراض بصورة تجعله من صلب الشركة، أو من باب العوض، أو نحو ذلك، وبهذا تستغني تمام الاستغناء عن نظام الفائدة».

كما تناول البنا إصلاح السياسة الهيكلية التي تتعلق بتغير نوعي في هيكل النشاط الاقتصادي بما يحقق التنمية من خلال دعوته لاستغلال منابع الثروة، والصناعة، والزراعة، وتشجيع المشروعات الصغيرة، وذلك في رسالته «مشكلاتنا الداخلية في ضوء النظام الإسلامي، النظام الاقتصادي»، حيث رسم الطريق لاستغلال الثروات من خلال العناية بالمشروعات الوطنية الكبرى، كما كشف عن أهمية التصنيع كإستراتيجية ضرورية وملحة لبناء الاقتصاد، فذكر أن التحول إلى الصناعة فوراً من روح الإسلام، كما كشف عن أهمية الزراعة والعمل على زيادة إنتاج هذا القطاع وإنتاجية العاملين فيه بإعادة النظر في نظام الملكيات بمصر، باختصار الملكيات الكبيرة، وتعويض أصحابها عن حقهم بما هو أجدى عليهم وعلى المجتمع، وتشجيع الملكيات الصغيرة، حتى يشعر الفقراء المعدمون بأنه أصبح لهم في هذا الوطن ما يعنيهم أمره، ويهمهم شأنه، وأن يتم توزيع أملاك الحكومة حالاً على هؤلاء الصغار كذلك حتى يكبروا، كما طالب بتعزيز دور المشروعات الصغيرة، وتمصير الشركات، وترشيد الاستهلاك، وحث على الوحدة الاقتصادية والاكتفاء الذاتي.

رحم الله الأستاذ حسن البنا، فقد كان مدرسة متكاملة تجسد الإسلام بمفهومه الشامل وفي القلب منه الاقتصاد.■

بين أن روح الإسلام توجب علينا في تشريعه الاقتصادي أن نبادر بتنظيم الضرائب الاجتماعية وأولها الزكاة

مما يميزه اقتصادياً أنه أول من لفت النظر لميلاد بنوك إسلامية ووضع حلولاً عملية لآفة الربا

سوق رأس المال الفكري

أ.د. زيد بن محمد الرماني
مستشار اقتصادي وأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

طوال التاريخ، نشب جدال حول طريقة إحراز تقدم اقتصادي.

لكن مفهوم أن التجارة تنتج تقدماً بشرياً وأن فقدانها يحكم على الناس بعيش الكفاف، لم يقبله الجميع، فهذه العداوة القديمة نحو التجارة والمتاجرة، كوسيلة لزيادة ثروة الأمم، من الصعب أن تموت، وحتى القرن الثامن عشر، قلّما كان ينظر إلى التدفق الحر للتجارة بأنه مفيد.

إن الخرائط التي ننظر إليها الآن، والعلاقات التجارية التي نعتبرها الآن كأمر مُسلّم به، تحمل القليل من شبه تلك الخرائط والعلاقات التي كنا نعرفها قبل جيل من الزمن.

فالسوق هي الطريقة الوحيدة المعروفة لتوفير معلومات تمكّن الأفراد من أن يحكموا على المزايا النسبية لمختلف استعمالات الموارد التي ليست لديهم عنها معرفة مباشرة، التي عن طريق استعمالها، سواء قصدوا ذلك أم لا، يخدمون احتياطات أفراد بعيدين غير معروفين، وهذه المعلومات مشتتة تشتتاً جوهرياً ولا يمكن جمعها معاً وإيصالها إلى هيئة مفوّضة بمهمة خلق نظام خلقاً متعمداً.

لقد كانت قدرة الدول ذات السيادة التقليدية هذه تتآكل تقريباً بنفس السرعة التي تتآكل فيها سلطات الدول الفردية في التحكم بالتقلبات قصيرة الأجل في قيم عملاتها الخاصة، وتتآكل على نحو كبير؛ لأن المفهوم الكلاسيكي للتجارة الدولية آخذ في أن يصبح مهجوراً.

وقد ظلّ العالم يتحرك بخطوات متقطّعة، ومع حدوث عدد كبير من التراجعات، نحو اقتصاد عالميّ منذ بداية الزمن تقريباً، لكن هذه العملية تسارعت كثيراً في العقود القليلة الماضية، ويعود ذلك بدرجة كبيرة إلى أن شبكة المعلومات العالمية المتنامية والأسواق المالية العالمية والتحسينات في النقل قد سهّلت كثيراً صعوبات التجارة والإنتاج الدولية.

ولقد نتج عن هذا التسارع نحو اقتصاد عالميّ تغيير أساسي في عمل العالم، والقوة الدافعة لهذا التغيير هي تقنية المعلومات، وخاصة الأهمية النسبية لرأس المال الفكري بعلاقته برأس المال المادي.

فرأس المال الفكري -الذكاء الإنساني- أصبح الآن العامل المسيطر في الإنتاج، وأهم سوق في العالم، جوهرياً، هي سوق رأس المال الفكري.

والدول التي تحترم حرية رأس المال الفكري، وتتكيف معه تبعاً لذلك، ستزدهر في الاقتصاد العالمي، أما الدول التي تتخيل أنه يمكن استبعاد أو تذليل هذا الشكل الأقوى من رأس المال، فإنها ستذوى.

إن انفجار التجارة العالمية الهائل لم يخلق سوقاً عالمية فقط، بل إن شبكة المعلومات العالمية جعلت في الإمكان كذلك نقل تقسيم العمل عبر جميع حالات الإنتاج والتسويق مع اكتساب قيمة مضافة في عدة أقطار.

إن الكثير من هذه التجارة، وخاصة التقنية الغنية بالمعلومات، تتم أو تسهّل بشبكة معقّدة بدرجة متزايدة من التحالفات بين شركات تشترك في موارد تقنية وفكرية ثمينة، وهذه المشاركة في رأس المال الفكري قد تأخذ شكل منتوجات متطوّرة تطوراً مشتركاً، تصبّ كل منها في خطوط إنتاج الآخرين أو تورد مكونات حدود قاطعة للآخرين، أو ببساطة توفير أفضل وأحدث التنافسات التقنية فائقة السرعة.■

عن أوقاف السلاطين

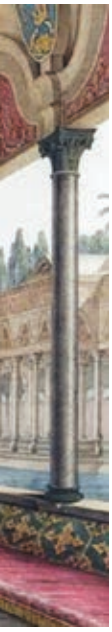

يؤثر واقع الدولة الحديثة على فهم التاريخ فيما قبل الحداثة، ومن أهم تلك الفوارق التي تجب الإشارة إليها أن النشاط الاقتصادي والتعميري لم يكن موكولاً إلى السلطة فيما قبل الحداثة، وكان تدخل السلطة فيه محدوداً يقتصر على الحفاظ على الأمن اللازم لاستمرار النشاط الاقتصادي، وتوفير القضاء الذي يتدخل لحل المنازعات، بينما يدير الناس هذا النشاط الاقتصادي دون توجيه ملزم أو تحكم وسيطرة من قبل السلطة.. بينما في عصر ما بعد الدولة الحديثة تحول الموقف إلى النقيض، إذ تتولى السلطة إدارة النشاط الاقتصادي وتحديد نظامه وطبيعته وتتحكم في مراحله جميعاً، والسلطة هي التي تسمح بحدود الحرية التي يمكن للناس أن يحظوا بها في إطار النظام الاقتصادي.

«الأوقاف» كانت ظاهرة كبيرة وراسخة في المجتمعات الإسلامية

.. ولم تكن ضمن مهمات السلطة وإنما مشاركة منها في نشاط اجتماعي خيري

محمد إلهامي
باحث في التاريخ والحضارة الإسلامية

يمكن أن نبصر الانهيار الاقتصادي في صفحات التاريخ مع ضعف نظام السلطة الذي يؤدي إلى انهيار الأمن أو ضعف القضاء أو زيادة الظلم والمصادرات، بينما في الواقع المعاصر يمكن أن يكون نظام السلطة قوياً ومتحكماً بكفاءة لكن الوضع الاقتصادي ضعيف أيضاً بفعل الفساد داخل جهاز السلطة نفسه.

وما يهمنا في هذا السياق أن مسألة الأوقاف لم تكن بالأساس عملاً سلطوياً، فالحديث عن «الأوقاف العثمانية» يشير أساساً إلى نشاط الأوقاف في العصر العثماني وليس إلى نشاط السلطة العثمانية في إنشاء الأوقاف، فلم يكن رصد الأوقاف ضمن مهمات السلطة في النموذج الإسلامي، وإنما يحدث من قبيل مشاركة السلطة في نشاط اجتماعي خيري وليس من مهماتها بالأصالة[1].

لكن، حيث كانت ظاهرة الأوقاف كبيرة وشاملة وراسخة في المجتمعات الإسلامية؛ فكان من النادر ألا توجد سلطة إلا وترصد أوقافاً على جهة ما من وجوه الخير، وهو تخصيص موارد جزء من بيت المال كأوقاف، تلك الأوقاف هي التي يقع عبء إدارتها على عاتق السلطة، إضافة إلى الأوقاف التي صارت مجهولة الصاحب مع تقادم العهد، أو لأسباب أخرى، أو الأوقاف التي هجرت وخربت، أو التي غاب عنها أصحابها غياباً متصلاً، أو التي كانت أهلية وانقرض المستفيدون منها ونحو ذلك.

لم يكن غريباً أن تكون الموارد الموقوفة هي معظم موارد البلاد، وقد أورد المؤرخ المصري الإسحاقي أن السلطان سليم الأول العثماني حين دخل مصر وأمر بمسح أراضيها وجد نحو ٤٠٪ منها موقوفة[2]، بل وأوردت مصادر أخرى أن الموقوف كان ثلثي الأرض، وأن بعض الوزراء استكثر هذا وحرَّض السلطان على ضمها للخزينة؛ فرفض واحتد، وقال: «خيرات فعلها من قَبْلَنا لا نحب أن يكون نَقْضُها من قِبَلنا»، ووقع مثل هذا أيضاً مع السلطان سُلَيمان القانوني[3].

محاولات الاستيلاء

لذا تعددت محاولات بعض الولاة والسلاطين للاستيلاء على الأوقاف أو تغيير شروط واقفيها، إما بدافع الطمع أو بدافع تجهيز الجيوش أو غيره، وهو ما كان يجد معارضة قوية من العلماء، وظلت الأوقاف مُصانة في الجملة حتى جاء عصر الدولة الحديثة والأنظمة العلمانية فسيطرت عليها؛ فكانت تلك من أقسى النكبات التي عانت منها الأمة[4].

لذلك، فحين نتحدث عن وقف أنشأه سلطان أو والٍ في سلطنته الكبيرة أو في ولايته الصغيرة، فإنما نتحدث عن نشاط سلطوي في إرصاد الأوقاف، ولا بد من فهم مسألة أن الوالي إذا لم يوقف وقفاً فلا يُعَدُّ هذا تقصيراً منه طبقاً للنموذج الإسلامي ولمفاهيم ذلك العصر، بخلاف عصر ما بعد الحداثة الذي تضخمت فيه مسؤوليات السلطة وشملت النشاط الاقتصادي، ومن هنا، فنحن حين نتحدث عن أوقاف ولاة أو سلاطين فإنما نتحدث عن جانب طوعي خيري يقوم به الوالي العثماني في مصر فوق مهماته الأساسية، ويجب أن يكون واضحاً أن نشاط الوقف هو نشاط مجتمعي وليس سلطوياً.

لكن، يجب الانتباه أيضاً إلى أن أوقاف الولاة والسلاطين ليست كلها فعل خير خالص، وإنما وفَّر نظام الوقف الإسلامي باباً كبيراً لأمور وَجَدَ فيها الولاة والسلاطين ما يحقق مصلحة لهم فاستثمروه، ذلك أن جوهر الوقف أن الإنسان يُخرج شيئاً من ملكه ليصير ملكاً لله تعالى، فبهذا يحرم التصرف فيه والاعتداء عليه، فمن أوقف ريع أرض على وجه من وجوه الخير الذي يحدده فقد حرم التصرف فيها على أي نحو آخر، ويمكن للواقف أن يوقف شيئاً على أهله وأولاده فيمتنع عليهم التصرف فيه واقتسامه كالإرث، وإنما يستفيدون منه كما تركه، وهذا ما يسمى الوقف الأهلي أو الذري (من الذرية)، وهذا النوع الأخير من الوقف أدَّى إلى منع تقسيم الملكيات الكبيرة

كالبيوت والأراضي ونحوها كما يحدث مع الميراث.

لا يمكن إغفال العامل الديني الذي نزع بالولاة والسلاطين إلى إرصاد الأوقاف تديناً ورغبة في التوبة وخدمة الدين، ولكن نظام الوقف كان طريقهم لعدد من المصالح الأخرى، منها: التقرب للرعية والعلماء بإرصاد الأوقاف على الفقراء والمساكين ومصالح الناس وعلى العلماء والمدارس والمساجد، والتنافس مع غيرهم من الولاة السابقين والمعاصرين رغبة في الشهرة والذكر الحسن بين الناس وعند الخليفة، وتجنب ما قد يمكن أن يقع على أملاك الوالي إذا تغيرت الحال وانقلب الوضع السياسي وصار هو قتيلاً أو طريداً، ففي هذه الحالة تبقى أملاكه موقوفة على ذريته لا يمكن مصادرتها ونزعها منهم(٥).

وقد أفتى الفقهاء بأن أوقاف الملوك والسلاطين لا يُراعى شرطها ويجوز نقض ما لم يوقف منها على مصالح الأمة؛ لأنها من بيت المال، وأول ما وقع هذا -بحسب ما نعلم- ما كان من العلماء حين واجهوا رغبة السلطان برقوق الذي احتاج لنقض الأوقاف لتمويل مواجهة المغول المهاجمين لديار الشام، فتصدى له العلماء وقال سراج الدين البلقيني، وبدر الدين بن جماعة، وأكمل الدين الحنفي، ولم يجيزوا له إلا نقض ما أوقفه السلاطين على الذراري فحسب، وعن أولئك نقله السيوطي، وعن السيوطي نقله ابن عابدين في الحاشية، وذكر ابن عابدين رأي شيخ الإسلام أبي السعود أفندي، مفتي السلطنة العثمانية زمن السلطان سليمان القانوني.

وخلاصة قول ابن عابدين؛ أن أوقاف السلاطين إرصادات لا أوقاف حقيقية، لذا لا يُراعى شرطها، وهذا التحقيق عن ابن عابدين سرى في كتب المتأخرين كما في «حاشية المكي على الفروق للقرافي»، وكما في «قواعد الأوقاف» لمفتي الشام وناظر أوقاف دمشق محمود أفندي الحمزاوي وغيرهم(٦).

بعض الولاة والسلاطين حاولوا الاستيلاء عليها أو تغيير شروط واقفيها وواجههم العلماء

الفقهاء أفتوا بأن أوقاف الحكام لا يُراعى شرطها ويجوز نقض ما لم يوقف منها على مصالح الأمة

ظلت مُصانة حتى جاء عصر الأنظمة العلمانية فسيطرت عليها

والشاهد المقصود أن مثل هذه الأمور فارقة في تصورنا للتاريخ وفهمه حين نطالع كتبه، ولذا يجب علينا أن نفهم الفوارق التي كانت بين مجتمعاتنا الإسلامية قبل دخول الدولة الحديثة والسلطة المركزية وبينها بعد هذا الزمان، وبدون التنبه لمثل هذا لا يمكننا فهم وتقييم الأوضاع التاريخية القديمة، ومن ثَمَّ فلا يمكننا تطوير أوضاعنا المعاصرة نحو خير أمتنا وشعوبنا .■

الهوامش

(١) للمزيد حول هذا الموضوع، انظر: محمد إلهامي، منهج الإسلام في بناء المجتمع، ط١ (القاهرة: دار التقوى، ٢٠١٥م)، ص١١٣ وما بعدها، ٢٢٤ وما بعدها.

(٢) الإسحاقي، أخبار الأوَل فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول، (طبعة مصر، ١٣١٠هـ)، ص١٤٣.

(٣) عيسى السفتي، عطية الرحمن في صحة الأرصاد للجوامك والأطيان، مخطوطة بالمكتبة الأزهرية، خاص (٣٧٢) عام (٤٩٥٧٢)، لوحة ٢٠، ص٣٨.

(٤) محمد أبو زهرة، محاضرات في الوقف، ط١ (القاهرة: معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٥٩م)، ص٢٠ وما بعدها؛ محمد عمارة، هل الإسلام هو الحل: لماذا وكيف؟، ط٢ (القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٨م)، ص١٢١، ١٢٢؛ وانظر: محمد إلهامي، جناية الأنظمة العلمانية على الأوقاف الإسلامية، مجلة البيان السعودية، عدد ٣١٢، شعبان ١٤٣٤هـ = يوليو ٢٠١٣م.

(٥) ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ط٢ (بيروت: دار الفكر، ١٩٨٨م)، ص٥٤٩.

(٦) انظر: ابن عابدين، حاشية ابن عابدين: رد المحتار على الدر المختار، ط٢ (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٢م)، ١٨٤/٤؛ محمد علي بن حسين المكي المالكي، تهذيب الفروق والقواعد السنية في الأسرار الفقهية، ضبطه وصححه: خليل المنصور، مطبوع بحاشية الفروق للقرافي (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م)، ١٢/٣ وما بعدها؛ محمود أفندي الحمزاوي، قواعد الأوقاف، اعتنى به: محمد وائل الحنبلي، ط١ (عمان: أروقة للدراسات والنشر، ٢٠١٧م)، ص٩٤.

دليلك لمواجهة المشكلات بنجاح وأقل مجهود

المشكلات زائر سخيف يقتحم ويفسد المزاج ويعطل ويؤلم، ولا تخلو حياة أي إنسان منه؛ فيرتكب أخطاء تطيل إقامته وتضاعف أوجاعه، وفي الأسطر التالية نقدم أهم الأخطاء لنتجنبها، ونفوز بأفضل تعامل مع المشكلات لتقليل الوجع وانتزاع الخبرات.

نجلاء محفوظ
كاتبة ونائبة رئيس تحرير «الأهرام»

– يغزونا الإحباط عند زيادة المشكلات، وهو سم قاتل.. حاربْه بتذكير نفسك بالنعم التي لديك وستتحسن معنوياتك.

– إذا تعرضت –لا قدر الله– لمشكلات كثيرة فلا تواجهها كلها مرة واحدة فتهزمك، لكن قم بتجزئتها وابدأ بالأهم، وافرح بأي انفراجة ولو كانت قليلة، واعتبرها بداية لخير أوسع، ولا تنس شكر الرحمن؛ فالشكر يزيد النعم.

– لا تعتبر الانفراجة نهاية المطاف وتخدع نفسك، واصل السعي بثبات ويقين أن الرحمن سيساعدك، واطمئن فستمر المحنة، وستتعلم منها ولن تؤذيك ولا تزدها بالاستسلام للتوتر أو العصبية مع الأهل والأصدقاء.

– لا تعش في إطار الضحية أو بقلة الحيلة.

حوّل خسائرك لمكاسب

– تحمل مسؤوليتك في صنع المشكلة –أحياناً– ولا تجلد نفسك، فالاعتراف بدورك في صنع المشكلة يساعدك على منع تكرارها، ويجعلك أكثر رضاً وأنت تعالجها، والعكس صحيح.

– مشكلاتك ليست محنة أو كارثة، وحتى إذا لم تُحل –كما ترغب– فستقلل ضررها، وافرح ولا تطلب الحد الأقصى واربح الخبرة والنضج.

– لا ترهق نفسك بأسئلة مثل: لماذا حدث هذا لي؟ ولماذا أعاني وحدي؟ فذلك يستنزف الطاقات ويورثك السخط وله أضراره الدينية والدنيوية.

قل: كيف أتغلب عليها وأمنع تكرارها وأحول خسائري إلى مكاسب؟

– لا تكبت رغبتك بالبكاء، بشرط ألا تزرع الشعور بقلة الحيلة في عقلك وقلبك، واستخدم البكاء للتخفيف من الإحساس بالضغط النفسي.

– لا تواجه مشكلاتك بالغضب والصراخ؛ حتى لا تزداد وتوقع بنفسك في المزيد، قم بتمثيل الهدوء ولا تتسرع بالتصرف ولا تقل ما تندم عليه لاحقاً، وتدرب على تأجيل رد فعلك وستربح كثيراً، والعكس صحيح.

– لا تهرب من مواجهة مشكلاتك بالنوم أو في الاستغراق بالإنترنت أو الفضائيات أو بالمقاهي؛ فلن يحلها غيرك بعد الاستعانة بالرحمن.

– لا تتسرع؛ فأول حل ليس دائماً الأفضل.

خطوات عملية

– واجه سبب المشكلة وليس أعراضها؛ فإذا واجهت مشكلة مادية طارئة فابحث عن سبب عدم وجود مدخرات واجعلها فرصة لضبط مصروفاتك.

– اهتم بالبحث عن حل وليس عن تعاطف؛ الأول يوسع حياتك، والآخر يزيد المشكلة؛ فتحس بالرثاء على نفسك وتحزن، والحزن أسوأ عدو.

– لا تتدخل بحياة الآخرين فهذا من مسببات المشكلات.

– فكر بأسوأ الاحتمالات؛ ليس لتحزن ولكن لتأخذ بالأسباب لمنعها.

– عندما تفكر بحل وتشعر بالانفراج فهذا دليل على التفكير الجيد، والعكس صحيح.

– إذا جربت حلاً ولم توفق؛ فلا تستسلم واسترح وتجنب من يحبطونك ولا تقل: لا فائدة أو حظي سيئ، وأعد تقييم الموقف، وفكر بحلول أخرى، واطرد العناد بتكرار حلول لم تنجح.

– لا تتحدَّ المشكلات لتنتصر عليها؛ فتتحمل ضغطاً نفسياً زائداً بالإضافة إلى ثقل المشكلة، ولا تتجاهلها ولا تهون منها، وقل: هي تجربة سأستعين بالرحمن ولن أعجز وسأهدئ من نفسي، ثم اكتب تفاصيل المشكلة على الورق وقم بقراءتها للتخلص من بعض الضغط النفسي، ثم ضع بعض الحلول، وقل: لن أسارع بطلب العون، وإذا لم تثمر محاولاتي فسأبحث عمن يتمتعون بالخبرة والأمانة لمساعدتي.

– لا تجعل المشكلات تسيطر عليك، خصّص لها وقتاً للتفكير وافعل ما يمكنك، وتشاغل عنها بما يفيدك وتحبه.

– يهزم نفسه من يتوقع حياة بلا مشكلات، أو يظن أنه أخذ نصيبه منها كاملاً، وأن القادم سيخلو منها؛ فكما قيل: الإنسان المفاجأ نصف مهزوم.

– من يتوهم أن الآخرين بلا مشكلات يهزم نفسه مرتين؛ حيث يرسخ داخله الإحساس بسوء الحظ، ويسلب نفسه قدرتها على مواجهة المشكلة، ويضيع طاقاته بالحسرة فتتضخم مشكلاته وتؤذيه بقسوة.

– أكذوبة «المشكلات ستحلها الأيام» يستخدمها بعضهم للهرب من دفع الثمن، فتكبر ويجد نفسه مضطراً لدفع المزيد ولو بعد حين.

– تذكر أهمية القوة الداخلية كمحرك لمعالجة المشكلات والتغلب على الإحباط.

احذر وانتبه

– عندما تتعرض لمشكلة في العمل أو الزواج أو مع أسرتك فلا تستدع المشكلات السابقة، ولا تتحدث معهم عنها، وركز بالوصول للحل ولا تهدر طاقاتك بالحديث عن الماضي وواجه الحاضر، ولا تعاملهم بحدة فلن يقبلوا حتى لو أخطؤوا، وستصبح المخطئ، وتجنب الكلمات القاسية، فستنتهي

الاعتراف بدورك في صنع المشكلة يساعدك على منع تكرارها ويجعلك أكثر رضاً وأنت تعالجها

«المشكلات ستحلها الأيام» أكذوبة للهرب من دفع الثمن لكنها تكلف المزيد من الخسائر

المشكلة، وسيبقى الوجع من كلامك، وسيكون رصيداً سلبياً لديهم تجاهك.

– بعض الناس يقولون: المشكلات تقصم ظهورهم، ولا شيء يقصم ظهرك أبداً، فلا تسمح بالانهيار وتماسك، والرحمن سيكرمك ويعلم قدرتك على حلها ومواجهتها وتحملها، فبادر وساعد نفسك.

– طريقة تعاملنا مع الآخرين تقلل أو تزيد من مشكلاتنا؛ فمن يتعامل بحدة أو بتكبر ويتجاهل الناس يخسر، ومن يبالغ بالتودد ويتنازل عن حقوقه يؤذِ نفسه؛ خير الأمور الوسط، فلا تتكبر ولا تقلل من نفسك.

– لا توقف حياتك حتى تنتهي المشكلة ولا تنعزل عن الناس، ولا تخبر الجميع بمشكلتك؛ فستستمع لنصائح خاطئة وسيجاملك البعض، وقد يقول أحدهم: كيف تتحمل مشكلتك؟ ويضاعف معاناتك، أو يقلل آخر من ألمك فتحتد وتصنع مشكلة جديدة.

– لا تقل: أواجه المشكلات وحدي؛ فالقوي العزيز يدعمك دوماً، تبرأ من حولك وقوتك ومن الاعتماد على جميع البشر، واستعن بالله ولا تعجز، وهدئ نفسك، ثم اكتب الحلول؛ فالكتابة تساعد في ترتيب العقل، وانصح نفسك كما تنصح صديقك المقرب، وسارع بالبدء في حل المشكلة ولا تؤجل التنفيذ؛ فالتأجيل يضعف عزيمتك ويسلمك للوجع.

– ابتسم لنفسك أثناء مواجهة مشكلاتك، وسيفرز مخك هرموناً يهدئك، وستحس بتفاؤل، وازرع اليقين بالانتصار عليها، وأحسن الظن بالرحمن، ولا تتعجل النتائج.

– تذكر مشكلات أخرى تعرضت لها ومرت على خير، ثم سعدت بانتهائها، وقل لنفسك: ما يؤلمني الآن سينتهي كما انتهى غيره، واطرد التفكير التشاؤمي؛ فهو ينهك العقل ويسرق فرصك التي تستحقها لحل مشكلاتك.

– أحسن اختيار من تلجأ لهم طلباً للمساعدة، فمن تتكلم معه وتحس بزيادة صعوبة مشكلاتك فلا تطلب مساعدته ثانية، واكتفِ بشكره ولا تجادله فستتعب وتضيع طاقاتك.

– اكتب خبراتك من كل مشكلة حتى لا تنساها.

– لا تسمح للمشكلات بالتأثير السلبي على عملك ولا على علاقاتك، وبالطبع على صحتك الجسدية.

– كل مشكلة فرصة لفهم أفضل لنفسك وللآخرين وللواقع، وبداية لحياة أجمل متى احتفظت بالخبرات وتنبهت لمواطن ضعفك وقللتها، ولأسباب قوتك وفرحت بها وشكرت الرحمن عليها وحافظت عليها، واستمتعت بالثقة بالنفس بعد التبرؤ من حولك وقوتك.

– لا تؤجل الترفيه المباح أثناء اشتداد المشكلات؛ فأنت تحتاج لاستراحة محارب لتجدد نشاطك، وتكسر دائرة التعب، ولا تنس صلاة ركعتي الحاجة وتطلب من الرحمن منحك الحلول الأفضل ويرزقك ثواب السعي لحل مشكلاتك ويمنحك السكينة والثبات، ويجعلك مؤمناً قوياً تواجه الصعاب بيقين أن العزيز الحكيم سيختار لك النجاة وسيمنحك الخبرات التي ستفيدك، وبذلك تنتصر على وجع المشكلات.

– لا تتوقع بعد انتهاء مشكلة كبيرة أنك لن تواجه غيرها، فالحياة ليست جنة، والمشكلات جزء منها، ومن يتوقع اختفاء المشكلات يهزم نفسه، وهذا لا يعني انتظارها وتنفس الهموم، فلتحتفل بانتهاء المشكلة وتعش راضياً سعيداً؛ فالرضا والسعادة يضاعفان القوة النفسية بعد الاستعانة بالرحمن، ويجعلانك تحيا بأفضل ما يمكنك، وتكون أكثر قدرة على التعامل الإيجابي مع أي مشكلة جديدة.■

الأخيرة

بقلم: د. عصام
عبداللطيف الفليج

قبل أن نصل إلى أزمة المياه

بدأت دول كثيرة تدق جرس الإنذار المائي؛ إما في مستوى الهدر والإسراف، أو الشح المائي، وأنا لا أتكلم عن الصحاري والقفار وما يصيبها من جفاف، فالخطر قد شارف المدن الخضراء، وما أكثرها، فقد قرأنا عن الجفاف الذي أصاب مدينة كيب تاون في جنوب أفريقيا، وبدأ الناس يحصلون على المياه عن طريق تعبئة جالونات في مراكز خاصة، وكادت تصل إلى مرحلة الصفر لولا رحمة الله، وسبقتها في الجفاف مدينة ساو باولو البرازيلية.

ولعلنا نذكر موجة الجفاف التي أصابت السويد، لعدم هطول الأمطار لأكثر من ٤ أشهر؛ مما تسببت في عشرات الحرائق التي حولت آلاف الهكتارات من الغابات إلى رماد، وجعلت المزارعين في وضع صعب للغاية، وكانت مبادرة رائعة من مسلمي السويد عندما أقاموا صلاة الاستسقاء في العاصمة أستوكهولم، أسعدت الناس لهذه المشاعر الوطنية والإنسانية.

ولا يخفى على أحد أن الصراع العالمي القادم سيكون حول المياه، فبوادره الأولى واضحة من مشكلات سدود الأنهار الشهيرة التي تغذي عدة دول؛ مثل النيل ودجلة والفرات، وبلا شك فإن شح المياه سيؤدي لنزاعات وحروب، وبالأخص في منطقة الشرق الأوسط.

ولأزمة المياه مظاهر عدة، أبرزها قلة المياه الصالحة للشرب، وقلة مياه استخدام الصرف الصحي، ونضوب المياه الجوفية وتأثيرها السلبي على الإنتاج الزراعي، وتلوث موارد المياه بسبب المجاري والمخلفات الكيميائية والنووية، وانتقال الأمراض عن طريق المياه الجارية، حتى نجد أنفسنا بين تصحر وجفاف.

لقد استطاعت البرازيل وجنوب أفريقيا وغيرهما من الدول تجاوز المحنة بتطبيق نظم صارمة بخصوص الإسراف، ولكنها ما زالت على حافة الخطر، حتى الدول الإسكندنافية الباردة والمليئة بالثلوج عانت من الجفاف، وستعاني دول كثيرة ما لم تمتنع عن الإسراف، فقد بين تقرير للأمم المتحدة أن عدم كفاية المياه في كثير من الأحيان بسبب سوء الإدارة والفساد.

وكم أعلن قياديون في وزارة الكهرباء والماء عن تصدر دولة الكويت الهدر المائي في العالم (استهلاك الفرد)، وهذا مؤشر خطير لبلد صغير، بعدد سكان قليل، وسط صحراء، وقرب بحر مالح، وتحرق ملايين براميل النفط في المصافي؛ لأجل الحصول على الماء الصافي.

فينبغي على الدول أن تعي هذه الخطورة بشكل مسبق، حتى لا نصل إلى مرحلة «لا علاج، ولا دواء»، بما فيها الدول الغنية بالماء، ويكون ذلك بسن قوانين الهدر، وتقسيم تعرفة الماء وفق شرائح؛ فكلما ارتفع الهدر؛ ارتفعت معه التعرفة.

ومن الضروري بمكان استمرار التوعية بأهمية عدم الإسراف بالماء، فقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسعد بن أبي وقاص وهو يتوضأ؛ فقال: «ما هذا السرف؟»، فقال: أفي الوضوء إسراف؟ قال: «نعم.. وإن كنت على نهر جار»، وقال: «إن للوضوء شيطاناً يقال له ولهان فاتقوا وسواس الماء»، فإذا كان ذلك في الوضوء وهو ركن الصلاة، فكيف بباقي حياتنا اليومية؟!

إن المحافظة على استهلاك المياه يدخل ضمن الأمن القومي لأي بلد، فلنستدرك ما يمكن إدراكه قبل أن نصل إلى أزمة المياه، ونجد أنفسنا نستجديه.. أو نهاجر!■